الأصول الثمانية

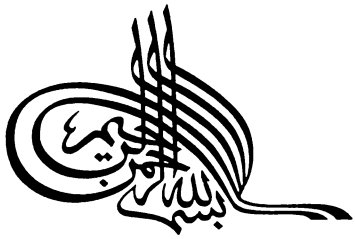
بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول الثمانية

تأليف

الإمام محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن
إسماعيل بن إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام
الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب
عليهم السلام
(٢٠٠- ٢٨٤هـ)

تحقيق

عبد الله بن حمود العزي

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

تم الصف والإخراج والتحقيق

بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق

الجمهورية اليمنية، صعدة، ت: ٥١٤٠٠٦ ٩٦٧٧ ، ص.ب. ٩٠١٦٨

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٤٣٦٨٤، عمّان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف/فاكس: ٥٣٤٨١٢٨ ٩٦٢٦

P.O.Box 10754, McLean, VA 22102, USA

Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق:

الحمـــدلله رب العـــالمين، والصـــلاة والســـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، **وبعـــد:**

كـــثيرة هي الآيات التي عالجت مواضيع العقيدة الإسلامية وأصول الديـــن الأساسية، ولو قارنّاها بآيات الأحكام الشرعية لوجدناها تفوقها عـــدداً، إذ أن آيات الأحكام الشرعية لم يزد عددها على خمسمائة آية قـــرآنية، وهـــي مترتبة على آيات المعرفة، فلا يمكن أن يكون العمل بها صحيحاً مقبولاً إلا إذا كانت المعرفة صحيحة مقبولة، ومن أهم وسائل معرفة مسائل الأصول هو إعمال العقول، وإجاله الأفكار فيما أودعه الله تعـــالى في الكـــون، مـــن النفوس البشرية المختلفة وأجناسها المتعددة، والســـماوات العـــلوية والسفلية المرتفعة، والطبقات الأرضية المنتظمة، والرواســـي القويـــة الثابتة، وما أودعه الله في بواطنها من المعادن الثمينة والركائـــز العظيمة، وما أنبته الله تعالى من الأشجار المتفاوتة والأشكال

المتعددة، والثمار اليانعة والفواكه اللذيذة، وما جعله من الأبحار العميقة الواسعة، والأنهار الجارية العذبة، والحيوانات الكثيرة العجيبة.

التوحيد:

وجميعها تدل دلالة واضحة على موجد أوجدها، وخالق خلقها بقدرة عظيمة، وحكمة عجيبة، تؤكد في النفوس طاعته، وتبعث في القلوب خوفه وخشيته، وبهذا نطق القرآن قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩٠ــ١٩١].

وحث جل شأنه على اعمال الفكر وإجالة النظر في ملكوته فقال عز شأنه: ﴿ **أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية:١٧-٢٠] .

فلو نظروا بعين البصيرة لأقروا بالألوهية، واعترفوا بالوحدانية، ودعا جل ذكره إلى التأمل في سر وحدة وجوده ونظام كونه فقال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [الأنبياء:٢٢] وقال تعالى: ﴿ **وَمَا**

﴿كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] .

وفي آيـــة أخـــرى أثنى على الملائكة والعلماء لشهادتهم بالوحدانية، واقـــرارهم بالعدالة الربّانية، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨].

ونفـــى الكيف والأين والبين فقال جل ذكره: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ونفى نفياً قاطعاً الإدارك بالعين فقـــال تعـــالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] ﴿ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] .

ومـــن الحسرة والخسران أن تأتي المجسمة والمشبهة وتنسبه إلى الجهة والمكان، وتصفه بأوصاف أخرى يخجل القلم عن تسطيرها، ويعافها كل من يسمعها من ذوي الأذواق السليمة والطبائع المستقيمة، مع أن آيات الله تعالى المحكمة جلية واضحة، تنفي النقص وتثبت الكمال لذي العزة والجلال.

وقـــد أكـــد تعالى على ضرورة ارجاع متشابه الكتاب إلى محكمه، وفـــرعه إلى أصله، ليبين الحق واليقين من الباطل والتخمين ومن لم يعمل بذلك فهو من الخاسرين الذين جعلوا القرآن عضين، فوصفهم الله تعالى

بالزائغين الساعين إلى ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل حسب ما يهوون ووفق ما يريدون، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧].

فما ورد من آيات يوحي ظاهرها بما ينافي محكمها وجب تأويلها وردها إلى أصلها، ولا يستطيع على ذلك إلا أهل العقول والعلم، ولا يقوى عليه إلا أهل الإختصاص والفهم.

العدل:

أما عدل الله وحكمته فكيف يمكن الإحاطة والتبيين وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، بعث الأنبياء وأرسل المرسلين، فأتم بهم النعمة وأكمل الحجة، أيدهم بالمعجزات، وزودهم بالدلالات، وأنزل عليهم الآيات لإيضاح شرائعه وإبانه أحكامه، فأوضحوها بأوضح بيان، وبلغوها بلا زيادة أو نقصان، فمن آمن بهم رشد وبالخير سعد، ومن كفر بهم طرد وفي الضلال ردد، قال تعالى مذكراً بحكمته، وذاكراً طرفاً من عدله ورحمته:﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا**﴾ [الإسراء:١٥].

ومن صور عدل الله أن لا يعذب أحداً إلا بذنبه، قال جل ذكره:﴿**وَلاَ**

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء:١٥] ولا يجازي أحداً إلا بعمله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ لأنه جعله مختاراً، أمره تخييراً ونهاه تحذيراً .

الرد على القدرية والمجبرة والمرجئة

وكيف يأتي قدري متقول، أو مجبري متحيل، أومرجئ متخيل، ويقول أن العدل الحكيم قد جعل العبد مجبراً وقضى عليها بأفعاله قسراً، وأوقعه في المعاصي والفساد قضاءً وقدراً.

مع أن الله تعالى قد نفى ذلك في آيات الكتاب، وأرسل رسَله وبث دعاته للأمر بالخير والرشاد، والنهي عن الفحشاء والفساد، ثم لماذا ينزهوا أنفسهم عن نسبة ذلك إليهم ويرضوا بنسبته لخالقهم، ولكنها الأهواء عمت فأعمت، والتقاليد العمياء صمت فأغوت.

اتبعوا إبليس وكانوا من جنوده إذ قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩] وهو لم يغويه إنما دعاه إلى ما ينجيه، وخاصموا الرحمن، وشهدوا الزور، وقالوا البهتان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨] .

القرآن:

ومن لوازم الإيمان العمل بآيات القرآن وسنة ولد عدنان صلى الله

عليه وآله وسلم، والقرآن هو كلام الله تعالى: ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] وهو الذكر الحكيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

وقد كان المشركون والمنافقون يسمعونه ولكنهم أعرضوا عنه قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء:٥] فمن آمن به وعمل بما فيه فهو إن شاء الله من الناجين.

الملائكة والرسل وأهل البيت عليهم السلام

ومن لوازم الإيمان أيضاً الإيمان بالملائكة والرسل والنبيين عليهم السلام والولاء لأهل ولايته من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عترة خاتم الرسل وأفضل البشر صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جعلها الله لهم وحكم بها فيهم، فمن جمع شروطها واستقصى بنودها، فهو لها مثل ولإقامته أهل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] وقال تعالى: ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الأحزاب:٢٣] ، وفي السنة النبوية

ما لا نستطيع إيراده من الفضائل التي لا تحصى والمناقب التي لا تخفى .

ولهم فضائل لست أحصي عدها**من رام عد الشهب لم تتعـــدد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة لازمة على الأمة المسلمة، أمـــر بها القرآن والسنة وطبقتها العترة الطاهرة على مدار الأزمنة، قال تعـــالى: ﴿ **وَلْـــتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَـــنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٤] وله شروط معروفة ومراتب مخصوصة أعلاها اليد والسنان بعد النصح والبيان باللين والإحسان، وأوسطها القول باللسان، وأدناها البغض بالجنان.

الوعد:

فمن دان بهذه الأصول المذكورة، فقد اعتقد حقاً وقال صدقاً، ومهما كان كذلك والتزم أحسن المسالك و لم يخرج عن طريق الصواب، ووقف عـــند نصوص السنة والكتاب، فهو موعود بالجنة مفتحة الأبواب، كما ذكر ذلك العزيز الوهاب، كثيرة أنهارها، عظيمة خيراتها، جميلة سررها، كواعـــب أتـــرابها، قال تعالى:﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَـــأْسٍ مِـــنْ مَعِـــينٍ لا يُصَـــدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنـــزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ**﴾ [الواقعة:١٤ــ٢٠] .

الوعيد:

ومن لم يعتقد بهذه الأصول فقد خسر وخاب، ووعيده النار وبئس المثاب، خالداً فها مخلداً لا يخرج أبداً ﴿ **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس:٢٧] .

ومن قال بالخروج فقد قلد اليهود إذ قالوا: ﴿ **لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٨٠] .

الشفاعة:

والشفاعة للمؤمنين زيادة في التعظيم، وإكمالاً للتكريم، قال تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ**﴾ [غافر:١٨]وليست لأهل الكبائر على الإطلاق، إلا من تاب وأناب، ومن قال بخلاف ذلك فقد خسر وخاب، وخالف نصوص الكتاب إذ يقول تعالى: ﴿ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ [النساء:٣١] .

هذا الكتاب:

ونظراً لأهمية هذه الأصول التي لا ينكرها إلا جاحد جهول، أو مستفيقه مخذول، فقد عمل أهل بيت الرسول عليهم الصلاة والسلام على

الإهتمام بها، فكشفوا مشكلها، وأبانوا مجملها، وقاوموا كل من خالفها من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة والملحدين، وأجابوا على مشبِّهة هذه الأمة ومجسمتها ومجبرتها وقدريتها ومرجئتها وخوارجها وروافضها ونواصبها، وأجابوا على كل شبهة أوردوها، أومشكلة أثاروها، بأجوبة قوية وحجج سوية، وبينوا كل مسألة بأدلة عقلية ونقول نقلية من الكتاب والسنة النبوية، وأصبحت كل ادعاءاتهم ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** ﴾[النور:٣٩] .

وما هذه الرسالة التي بين يديك الكريمتين إلا أحد النماذج الشاهدة والأدلة الصادقة، مؤلفها من صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، فارس فرسان هذا الميدان، وبطل أبطال مسائل العرفان، من لم يماثل في علمه، أو يدانى في ورعه وفهمه. وهو الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم سلام الله ورحمته وبركاته، وقد ناقش فيها جميع الأصول الأساسية، ودلل عليها بأدلة نقليه وأخرى عقلية.

وفي الأخير: أسأل العلي القدير أن ينفعنا بها، ويوفقنا إلى ما فيه الخير والتيسير، ويجنبنا كل عسير، ويجعل أعمالنا خالصة، ونياتنا صادقة.

ترجمة المؤلف

نسبه:

الإمـــام محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحســـن بـــن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام والرحمة والرضوان.

سلســـلة مـــن ذهـــب مـــنوطة بالشـــهب
ونســـبة تـــرددت بـــين وصـــي ونـــبي
ســـبحان مـــن طهـــرها مـــن شـــائبات النســـب[1]

نشأته:

في ظـــل البيت النبوي نشأ الإمام محمد بن القاسم عليه السلام، وفي أحضـــان فروع الدوحة العلوية ترعرع ونما، كان يحب البادية، ويشجع على سكناها، غرس حبها في نفسه والده الإمام القاسم بن إبراهيم عليه

---

(١) هـــذه الأبيات لسماحة السيد العلامة الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله، وقـــد جعلها ضمن تقريظ لسماحة السيد العلامة الولي القاسم بن أحمد المهدي حفظه الله، وذلك على كتابه (الروض الوردي).

السلام، حيث تنقل في المغرب، ثم في مصر، وقيل في الشام، واختار في آخر مدته الرس[١] أحد بوادي المدينة المنورة، وذلك لما تتيحه البادية من صحة النشأة، وطيب النفس، وقد قرأنا من سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قضى طفولته الأولى في بادية بني سعد، وقد كانت العرب تدفع بأبنائها إلى البوادي لمميزات عرفتها وأسباب رأتها في تربية أجيالها، وفي بادية الرس والحجاز تلك البوادي التي لا تنسى في ذلك الجو الهادئ والهواء الطلق، وبين تلك الجبال الشاهقة، بعيداً عن ضجيج المدينة وأعين الغدر والخيانة، عاش الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وبين تلك الأسرة العظيمة نشأ نشأة فتى يحس بدماء النبوة تجري في عروقه، ورأى في محيطها أنصع صور الطهر والفضيلة، وأرقى درجات الكمال والعبادة.

نشأ متحلياً بأنبل صفات الشرف، وأرقى صور الكمال، نشأ في حجر والده نجم الآل وحافظهم، القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وفي صحبة اخوته: الحسين بن القاسم عليه السلام الحافظ المحدث والعابد

---

(١) يبعد عن المدينة المنورة بمسافة تقدر بساعتين والطريق إليه وعرة، وهو منطقة جبلية سكنه الإمام القاسم بن إبراهيم في أواخر القرن الثاني الهجري ، ليبعد عن ضجيج المدينة وأعين الغدر والمكيدة، وبه مشاهد منها مشهد الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وإلى جانبه مسجد يبعد عنه مترين .

الـــزاهد، والحسن بن القاسم عليه السلام العلامة المجاهد الذي خرج مع الإمـــام الهادي عليه السلام، ودفن إلى جواره، وسليمان بن القاسم عليه السلام العالم الزاهد، وكلهم علماء فضلاء أولياء أوفياء أتقياء حلماء .

تحقيق مولده وبداية تعليمه:

لم أجد فيما لدي من المصادر تاريخ ولادته، أو بداية دراسته، إلا أن الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام ذكر عن والده أن الإمام محمد بـــن القاسم عليه السلام توفي بعد قيام الإمام الهادي بسنة، وكان عمره أنـــذاك نيفـــاً وثمانين سنة رحمه الله تعالى، ومن المعروف أنه توفي عليه الســـلام عام٢٨٤هـــ، وبذلك نصل إلى أن ولادته كانت عام٢٠٠هـــ تقريباً.

ومكانته العلمية ومنـــزلته المرموقة التي وصل إليها تجعلنا نقول أنه قد تلقى العلوم في وقت مبكر من صباه، ولا شك أن والده الحافظ المحدث المتبحر الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام .

قد أدرك نبوغه واستعدادته فاحتواه برعايته، وغذاه بعلومه ومعارفه، وكان هو شيخه الأول، ومربيه العظيم، وكان الإمام الهادي عليه السلام أحـــد تلامذة الإمام محمد بن القاسم عليهما السلام البررة النجباء، وقد لمح فيه من النبوغ والذكاء ما جعله يشمله بعناية فائقة ورعاية تامة، أُهلّ بعدها للإمامة، ورشح للزعامة، فحكم بالكتاب والسنة.

رحلاته وتنقلاته:

رحـــل إلى أكثر البلدان لإحياء السنة، والعمل بالقرآن، فأقام ببغداد والبصرة، ودخل الأهواز، وخراسان، والشام، ومصر، والمغرب، ولكنه في آخر عمره سكن بادية الحجاز، وفضلها على غيرها لأسباب ندركها من خلال كلامه في كتابه (الوصية والهجرة) حيث قال ناصحاً أولاده: (فـــليس النجاة لكم ولمن معكم إلا بالهرب في البوادي والأودية والجبال مـــنهم، والتحبب إلى خالقكم بهجرتهم والبعد عنهم، فإن في مساكنتهم والإختلاط بهم، فساد القلوب، والخبال الأكبر، لما هم عليه وفيه من فعل كل فجور وفسق وشر، ألا أقل القليل منهم، فالهرب الهرب والبعد البعد عنهم، فإن المدن والقرى موضع اللؤم والشر والبلايا بما تجمع وتضم من شـــرار الـــناس والأوغـــاد، ومـــا ينضم فيها ويأوي إليها من أخلاط الأجناس)[1].

وذكـــر كلاماً يطول ذكره، يلتمس من موضعه وقد ذكرنا مميزات البادية آنفاً، ومن المعروف أن الأهم في نظر أهل البيت عليهم السلام هو الوقـــوف عند الأوامر الإلهية، والوجود والخصب لتنفيذها وإقامتها، فإن وجدوا مكانها المدن سكنوها، وإن وجدوا مكانها البادية سكنوها، المهم

---

(١) الهجرة والوصية: ٤٤ــ٤٥.

هو تنفيذها والإبتعاد عن ما يعكر صفوها، والإلتزام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والبادية هي أسلم على كل الأحوال، خصوصاً في عصر الظلمات وانتشار المنكرات.

إمامته:

من المعروف أن أهل البيت المطهرين عليهم السلام عاشوا في ظل الدولة الأموية، ومن بعدها العباسية، في حالة استنفار متواصل، وملاحقة مستمرة، ومورس ضدهم من قبلهما أنواع التعذيب، وأصناف الإضطهاد والتنكيل والتشريد.

لا لشيء سوى أنهم ينتمون إلى البيت النبوي، وينتمون إلى الخط العلوي، ومن المعروف أن الله قد خصهم بالولاية، وجعلهم امتداداً لأنوار الهداية، فأجابهم من أجابهم من صالحي الأمة، وخالفهم أكثرها ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [يوسف:١٠٣] .

ولما رأوا العبث بخيرات الأمة، والإبتعاد عن الكتاب والسنة، دعوا إلى الجهاد وسلوك طريق الرشاد، فكان الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أول الخارجين على الظالمين، ثم تبعه أبو الحسين الإمام الأمين زيد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين، ثم تبعه العشرات، وسقط المئات من الشهداء، في سبيل إقامة العدل، ونشر الخير، وابتغاء الأجر، لا

تأخذهم في الله لومة لائم أو سطوة ظالم.

قال أحد الدكاترة المعاصرين وهو الدكتور صبحي: (وإن تباهى أهل دين بشهدائهم ، فإنه يحق للمسلمين أن يتباهوا بشهداء الزيدية)[١].

وكان الإمام القاسم بن إبراهيم أبرز رجالات أهل البيت في عصره، ولكن قلة الأنصار ورصد حركاته من قبل الأشرار في كثير من الأمصار لم يستطع أن يعلن دولته، أو يسمي حكومته، وكان ابنه الإمام محمد بن القاسم من بعده قد جمع صفات الإمامة، ومؤهلات الزعامة، فأعلن دعوته وبثها في البلدان، ولكن التاريخ أعاد نفسه غدراً وخيانة وخداعاً، فلم يتمكن من توطيد أركانها وتشييد بنيانها، لقلة الأنصار وكثرة الفجار.

قال الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني في كتابه التنبيه والدلائل: (سمعت أبي يقول حين سأله جماعة من شيعة القاسم عليه السلام عن إمامة محمد بن القاسم وتوافر شروطها فقال: (حدثني أبي عبدالله بن محمد وعمي عبدالله بن الحسين بن القاسم قال: سمعت أبي القاسم بن إبراهيم وهو يقول: صحبت الصوفية أربعين سنة ودُرت المشرق والمغرب، ولم أر رجلاً أكيس ورعاً من ابني محمد).

---

(١) ـ الزيدية : د / صبحي : ص١٠٠ .

وقال عليه السلام حاكياً عن أبيه: (قال أبي رحمة الله عليه: كان محمد بن القاسم صلوات الله عليه قد باع من الله نفسه، فخرج إلى الحيرة هو وأخوه سليمان بن القاسم، فنزل على أشهب بن ربيعة وأخذ له بيعة كبيرة، وكانت له بيعة باليمن، وأخذ له ابن الحروي بيعة بمصر، وكتب إليه وهو بالحجاز يخبره بمن بايع له وبكثرة أنصاره، فلم يرَ صلوات ا لله عليه التخلف بعد ما اتصل به من علم ذلك ما اتصل، فخرج إلى مصر ثم ورد عليه كتاب ابن الحروي يخبره فيه أن جيوش بني العباس قد ضبطت البلاد، وأن من كان معه قد ذهب ونكث بيعته، ولم يكن رحمه الله صحبه من الحجاز إلا شرذمة من ولد الحسن والحسين وجعفر وعقيل، وجماعة من قريش، ونفر من العرب يسير، فكره صلوات الله عليه أن يلقي بشرذمة من المؤمنين قليلة إلى التهلكة.

كما ذكر الإمام القاسم العياني أن له بيعات أخرى فقال: (وكانت له بيعة بطبرستان، وبيعة بكرمان، وكان صلوات الله عليه حريصاً مجتهداً في الأمر، حتى علت سنة ولزمه مرض في ركبته أزمنه، فزال عنه فرض القيام عند ذلك).

وأما عن قيام الإمام الهادي أواخر حياة عمه وشيخه الإمام محمد بن القاسم عليه السلام فيقول الإمام القاسم بن العياني: (قال أبي رحمه الله

لمن سأله: وأما الهادي رحمة الله عليه فلم يقم حتى آل عمه إلى الحال الذي سقط عنه فرض القيام بما تقدم ذكره أولاً، وكان قيام الهادي قبل وفاة عمه عليهما السلام بسنة، وعمه يومئذ زمن لا يقوم، وله إذ ذاك من السنين نيفاً وثمانين سنة رحمة الله ورضوانه عليهما)[١].

وعندما أعلن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام دعوته، ودعاه اليمانيون إلى اليمن سنة٢٨٤هـ ، كان في وداعه عمه الإمام محمد بن القاسم عليه السلام، وقال له: (يا أبا الحسين لو حملتني ركبتاي لجاهدت معك، يا بني أشركنا الله في كل ما أنت فيه، وفي كل مشهد تشهده، وفي كل موقف تقفه)[٢].

مؤلفاته :

بالرغم من هجرته من بلد إلى آخر، طلباً لنصرة دين الله، والمحافظة عليه، فقد خلف ميراثاً علمياً زاخراً، ولو أتيحت له الظروف لرأينا ما هو أكثر بكثير، ومن أهم مؤلفاته التي صدرها كثير من المؤرخين:

١. تفسير القرآن الكريم الموجود منه من سورة البلد إلى سورة النازعات طبع في الجزء الأول من تفسير أهل البيت، وصدر عن مكتبة

---

(١) جميع ما نقلنا عن الإمام القاسم العياني عليه السلام موجود في كتابه :(التنبيه والدلائل)خ.

(٢) سيرة الإمام الهادي للعلوي: ص٣٨.

التراث الإسلامي، كما يوجد له تفسير سورة يس وبعض **الآيات القرآنية** المتفرقة.

٢. الأصول الثمانية وهو الذي بين يديك .

٣. شرح شروط الإيمان (شرح فيه خطبة الإمام علي عليه السلام " بني الإيمان على أربع دعائم").

٤. الشرح والتبيين في أصول الدين.

٥. الهجرة والوصية طبع وصدر عن مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.

٦. أجوبة على أسئلة في حكاية موسى في القرآن.

٧. أسئلة وأجوبة ونقولات متعددة مجموعة في كتب مسائل عن الإمام القاسم بن إبراهيم ـــ نعمل على تحقيقه حالياً ـــ .

٨. الوافد على العالم، فهو الوافد ووالده العالم، طبع ـــ وصدر عن مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، ونسب للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام وهو الراجح، كماأثبت ذلك السيد العلامة المسند مجد الدين بن محمد المؤيدي حفظه الله تعالى في لوامع الأنوار: (٢/١٨٩ـ١٩٠).

وفاته:

بعد حياة مليئة بالجهاد والكفاح، والتضحية والفداء في سبيل الله تعالى، توفي الإمام محمد بن القاسم عليه السلام سنة ٢٨٤هـ، بعد أن عاش نحواً من نيف وثمانين عاماً، قضاها في طاعة الله، علماً وتعليماً وعبادة وخوفاً، وانقطاعاً وزهداً وورعاً، وهجرة وجهاداً وتضحية، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

وقد ذكر الجنداري في الجامع الوجيز عن أحداث سنة ٢٧٩هـ حيث قال: (وفيها توفي الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم، وكان في الورع آية، وقد وصلت دعوته وبيعته اليمن والرس وغيرها، وخرج الهادي فسقط عنه فرض القيام، وعمّر نيف وثمانين سنة).

والجنداري هنا يخلط بين محمد بن القاسم بن إبراهيم وبين محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف صاحب الطالقات، ولعله هو الذي توفي سنة٢٧٩هـ.

مصادر ترجمته:

١. التنبيه والدلائل للإمام القاسم بن علي العياني — خ —.

٢. أعلام المؤلفين الزيدية (٩٧٨—٩٧٩) .

٣. سيرة الإمام الهادي للعلوي: ٣٨.

٤. الإمام الهادي والياً وفقهياً وعالماً :٧٢.

٥. الهجرة والوصية للإمام محمد بن القاسم عليه السلام .

٦. مؤلفات الزيدية :١/١٣١، ٣١٢، ٢/٢٠٥، ٣/١٥٨.

٧. بروكلمان القسم الثاني:٤٠٣.

المخطوطات المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة العظيمة على ثلاث نسخ جمعيها من مكتبة شيخنا السيد العلامة/ محمد بن الحسن العجري حفظه الله تعالى، ورمزت لها حسب ما يلي:

النسخة (أ):

وهي نسخة كتبها السيد العلامة/ محمد بن الحسن العجري بيده الكريمة، وخطها جميل ومصححة خطها سنة١٤١٠هـ، وقد جعلتها أصل النقل تقع في أربعين صفحة من القطع المتوسط، ضمن مجموع .

النسخة (ب):

وهي نسخة قديمة نوعاً ما خطت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، بقلم عبدالرحيم زايد الفطين، وهي تقع في ثمانية وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، ضمن مجموع وخطها لا بأس به ، إلا إن أغلب كلماتها غير منقوطه.

النسخة (ج):

وهي نسخة يبدو عليها القِدَم ، مرفقة ضمن مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، و لم يذكر كاتبها اسمه، وخطها غير خط مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم، وتقع في تسعة عشر صفحة، وبعض كلماتها غير منقوطة.

وقد حاولت قدر الإستطاعة أن أثبت أصح الكلمات، وذلك بالمقارنة بين الثلاث النسخ، وقابلتها عليها أكثر من مرة.

وهذه نماذج من المخطوطات:

الصفحة الأولى من النسخة(أ)

(٢)
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله المتفضل الكريم . المنعم على عباده بالابتداء لخلقهم .
المحسن الى خلقه . الدال على معرفته بصنعه . الذي من له كلفه
بكمال الته . وصحة عقله . وتركيب قوته . وبيان حجته .
المحتج على من خالفه . ببراهين العقول والتنزيل والرسول
واجماع العلماء ذوي التحصيل . العارف بالدقيق والجليل .
الذي لم يخلقنا عبثا . ولم يتركنا سدا . اصح العقول وارسل
الرسول وازاح علة كل جهول . الواحد القديم . الاول
الحكيم . القادر العليم . الدائم الحي الموجود العزيز السميع البصير
الغني الخبير المتفضل بكل صنع المستدل عليه بما ظهر من الايات
والفعل والصنع البديع من مخترعات فعله . من سمائه وارضه
وما بينهما . والليل والنهار وما شاركهما . وكل محدث بعد ان
لم يكن فهو محدثه صنعه كله . تجوز عليه الزيادة والنقصان
وهو القديم فلا يجوز عليه التغيير ولا الحدثان . لا يحل ولا يحل
الخالق للمحل والمكان . الموجد للاشياء الذي لم يزل والكاين
بلا اول . اقال العثرة وبذل التوبة . ودعا الى الانابة .
وقبل ذوي الطاعة . وتابع النعم وازال النقم . ولم يعجل بالعقو
وامر بالتنصل والندم . ليعود سبحانه على عباده بالتفضل والا
خفف المحن وامتن فاحسن . واعطانا فاكرم . ولطف فانعم
حمدا

الصفحة الأخيرة من النسخة(ب)

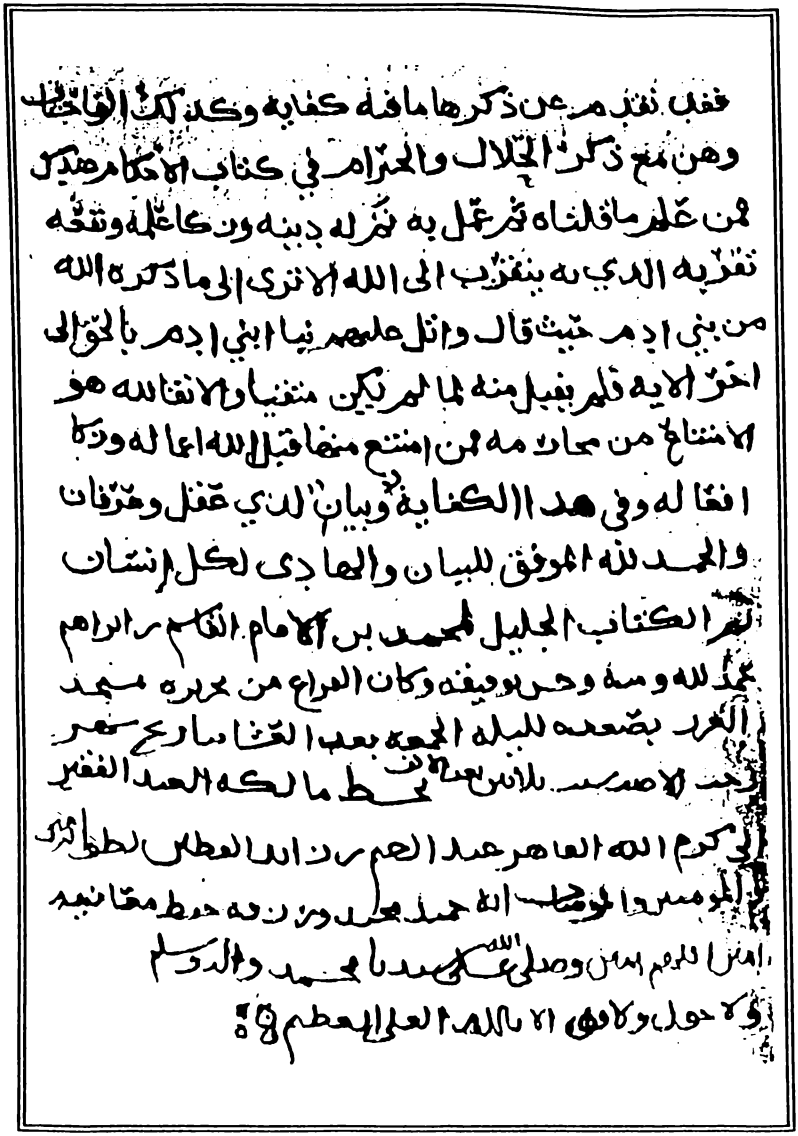

الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

طريقة التحقيق:

١. دفعت هذه الرسالة إلى الكمبيوتر للصف.

٢. استخرجت نسخة منه وقابلتها على ثلاث نسخ توفرت لدي .

٣. قطعت النص إلى فقرات ، والفقرات إلى جمل ، واستخدمت في ذلك علامات الترقيم المتعارف عليها.

٤. خرجت الآيات القرآنية وتم ضبطها بالشكل.

٥. لم أكن أشعر بضرورة تخريج الأحاديث التي في هذه الرسالة، كونها من أصح الأحاديث سنداً، وأعلاه رتبة، وراويها من صفوة العترة الطاهرة، وإبريز الدرة الفاخرة، وسندها عزيز، ورجالها أباريز، وقد تعمدت تخريج الأحاديث التي يضيق النواصب لذكرها فقط، تخريجاً مختصراً لأسقيهم بكأسهم، وأقطع بها أعذارهم.

٦. وضعت هذه المقدمة المختصرة عن الكتاب والكاتب .

٧. أضفت بعض العناوين وجعلتها بين معكوفين هكذا [ ].

٨. وضعت فهرساً للأحاديث ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة، وكذلك فهرساً للمواضيع، وتركت قائمة المراجع خشية اثقال الكتاب.

وأخـــيراً :

أســـأل الله العظيم أن يجعل عملنا هذا وجميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين .

عبدالله حمود درهم العنزي - صعدة

١٤٢١/٨/٢٣هـ

الموافق:١٩/١١/٢٠٠٠م

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـــــــه نستعـــــــين

الحمدلله المتفضل الكريم ، المنعم على عباده بالإبتداء لخلقهم ، المحسن إلى خـــلقه ، الـــدال على معرفته بصنعه ، الممكن لمن كلفه بكمال آلته وصـــحة عقلـــه وتركيب قوته ، وبيان حجته ، المحتج على من خالفه بـــبراهين العقول والتنـــزيل والرسول وإجماع العلماء ذوي التحصيل ، العـــارفون بالدقيق والجليل ، الذي لم يخلقنا عبثاً و لم يتركنا سداً ، أصح العقول وأرسل الرسول، وأزاح علة كل مجهول .

الواحـــد القديم ، الأول الحكيم، القادر العليم، الدائم الحي الموجود العزيز السميع البصير ، الغني الخبير ، المتفضل بكل صنع ، المستدل عليه بمـــا أظهر من الآيات والفعل والصنع ، البديع من مخترعات فعله ، من سمائـــه وأرضه وما بينهما ، والليل والنهار وما شاركهما ، وكل محدث بعـــد أن لم يكن فهو محدثه ، صنعه كله ، تجوز عليه الزيادة والنقصان ، وهو القديم فلا يجوز عليه التغيير ولا الحدثان ، لا يحل ولا يحل ، الخالق

للمحل والمكان ، الموجد للأشياء الذي لم يزل ، والكائن بلا أول ، أقال العثرة وبذل التوبة ، ودعا إلى الإنابة وقبل ذوي الطاعة ، وتابع النعم وأزال النقم ، و لم يعجل بالعقوبة وأمر بالتنصل والندم ، ليعود سبحانه على عباده بالتفضل والكرم ، خفف المحن وأمتن فأحسن ، وأعطا فأكرم، ولطف فأنعم ، حذّر من العاجلة ، وأبان زوالها بكل دلالة ، وندب إلى الآجلة بكل علامة ، وأظهر حججها بكل إنارة ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٤٢] .

وأشهد له بالربوبية والعدل والوحدانية ، والنصفة لجميع البرية ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ،له الأسماء الحسنى والأمثال العلى ، الصادق فيما وعد وأوعد ، لا يخلف الميعاد ولا يحب الفساد ولا يظلم العباد ، وهو الإله الخالق لجميع العباد ، الهادي الدال إلى الرشاد ، الذي هو لهم بالمرصاد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣] ليس له صاحبة ولا ولد ولا ند ولا مثل ولا ضد ، أهل العبادة ومنتهى كل حاجة ، وأشهد أن لا إله سواه ولا رب إلا إياه .

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده الأمين ورسوله المبين ،

البشـــير الـــنذير المبلغ للدين ، المجتهد لذي العزة المتين ، المؤدي عن الله الحـــق، والمظهـــر عـــنه جل وعلا جلاله الصدق ، حتى جرت مناهج الإســـلام، وهجـــرت عبادة الأصنام ، وبان الحلال عن الحرام ، وتبين للبادي والحاضر صالح كل مقام ، وأزاح الله به عليه التحية والسلام جميع عـــلل الأنـــام ، فصـــلوات الله عليه وعلى آله الكرام ، الأئمة الأخيار والفضلاء الأبرار ، السابق القايم بحق ما كان ، والمقتصد القاعد الصالح بكل مكان.

وعلى السبطين الحسن والحسين الإمامين الفاضلين ، والمطيع لله بكل صـــنيع أمير المؤمنين وسيد الوصيين وخليفة رسول رب العالمين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، علم المسلمين وهادي الصالحين ، ووارث علم النبيئين ، القاسم بالسوية ، والعادل في الرعية ، والمبين لكل عمية ، فصـــلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى جميع ملائكة الله المقربين ، وأنبيائه المـــنذرين ، وعلى المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، والمقلعين عـــن معاصي الرحمن ، وعلى كافة المؤمنين الصادقين المسلمين الخائفين الوجلين العاملين الراغبين ، وسلم ورحّم وكرّم وحسبنا الله العلي العظيم ، ولا قـــوة إلا به جل وعلا وإياه نستعين على ما به وصل إنه معين لمن أطاع وواصل وجاهد بالحق وعامل .أما بعـــد :

[الوصية بالتقوى]

فأنـــا أوصيك ونفسي بتقوى الله وأهلك وأهلي وكافة المسلمين ذي العـــزة ، فـــإن تقوى الله خير زاد وأفضل المستفاد ، وأيسر ما رامه ذو الرشـــاد ، فطلبه ذوو المروءة ففازوا به من الدنية ، تقوى تقي من النار وتـــبعد من الأشرار ، وتحل مع الأخيار منازل الكرام الأبرار ، فإن هذه الدار دار انتقال وضعت للإكتساب قبل الزوال ، نفعنا الله وإياك بالهدى وعصـــمنا وإياك من الردى ، إنه سميع الدعاء متفضل على من شاء ، ثم أقول من بعد ذلك : وفقني الله وإياك لما بينه ، وأعان الجميع على قبول مـــا افترضه ، وخفف المحنة علينا فيما تعبد به ، إنه قريب من المخبتين ، لطيف بالمؤمنين.

[أول ما يجب معرفته]

إن أول ما يجب علينا معرفة صانعنا جل وعز ، ومعرفة كتبه ورسله والأئمة الصادقين من بعده ، وصفة من آمن به وصد عنه ، لنعرف كل ذي صفة بما يستحقه فنؤمن به كما أحب ، ونتبع أمره كما ندب ، وأنا بعون الله مبتدي من ذلك بما بدأ الله به ، وأختصر وأودع في كتابي هذا ما ينتفع به في الدين ويكون سبباً إلى معرفة المحقين ، ومنازل الصالحين إن شـــاء الله تعالى ، ليكون أصلاً لك لا ترد عليك شبهة إلا عرفتها ، ولا مذهـــب مخـــالف للحق إلا عرضته على الأصول التي ارتضيتها لصحتها

وبطلان ما يرد مما هو ضد لها ، لأن الحق والباطل لا يجتمعان ، فإذا صحت الأصول بانت لك طرق الأصول ، فكنت قادراً على التزيد إليها من كل محصول ، وصارت معرفتك بها وقاية لك من حيل المحتالين وتلبيس المخالفين الذين شأنهم الترؤس على عباد الله أجمعين ، فكلما فهمت من ذلك أصلاً نظرت دلالته من القرآن ، وكان مفتاحاً لك إلى تنويره ،لأنه من الله الحكم البالغة ، فيه النجاة ، وفيه الهداية ، فلا تزال إذا فعلت ذلك مستفيداً منه ما لم تكن تعلمه ، ومطلعاً على ما لم تكن تفهمه ، يتمكن في يدك ، ويدحض ما كان في يد غيرك ، فأعنه بتفهم وتبصر وتوقف وتفكر ورد ما التبس عليك منه إلى ما اتضح لك من محكمه .

[المحكم والمتشابه]

- **فإن المحكم** : ما كان تأويله وظاهره مسموعاً معلوماً به المراد لا يحتاج إلى تفسير ، ولا له سوى تنزيله تأويل .

والمتشابه: ما لم يعلم بظاهر التلاوة واحتيج فيه إلى التفسير، فاحتمل التأويلات[1] المشبهة للمحكم فاعمل به فإن الله سبحانه يقول: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر:٥٥] يريد أحوطه

---

(١) في (ج): فانظر التأويل المشبه.

وأظهـــره ما لا شك فيه ولا مرية ، وما شككت فيه رجعت إلى العلماء العامـــلين بـــه ، فقبلت من أقوالهم ما أيد الأصول و لم ينقض ما جاءَ به الرسول ، فإن كتاب الله لا يختلف علمه ، وإنما يجهل من جهله اختلف عـــليه إذا لم يعـــلمه ، وقـــد قال الله سبحانه : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُـــوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر:١٧_١٨] يريد العقلاء، ومعنى يستمعون يريد أهـــل الصفَة وهم العلماء ، أقاويلهم يُتبع أجلاها وضوحاً وأوكدها لما تقدم تصحيحاً ، فإن فاعل ذلك لا يزال مستفيداً وللخير مريداً وللباطل مذهـــباً ، يحسن الظن فيما غاب ، ويرد المتشابه إلى المحكم كما قال الله تعـــالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِـــلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران:٧] . فكن أكرمك الله من ذوي الألباب والعقول الناظرين بعين الصواب ، المتوقفين عن الشبه والإرتياب ، ليصح لك الحق من كل بـــاب عـــلى بصيرة، وتأتيه من غير ريبه ، لتصل إلى فتح كل باب إنه السميع الوهاب.

[أولياء الله وأعدائه]

ويجب على أثر ما قلنا أن تعلم أن الناس فريقان ولي لله وعدوٌ له ، فأما العدو ففي النار على رتبهم كل له منزلة من العذاب وقانا الله وإياك منها شر المآب ، وليس بنا فاقة إلى ذكر منازلهم ، لأنا إذا أوضحنا منازل أولياء الله سبحانه كان كل من خرج منهم من أعدائه وبالله نستعين :

والولي : أكرمك الله من تعلق بثلاث أشياء إيمان يعتقد بالنيات البينات وعمل الصالحات ، واتقاء الفاحشات ، يدلك على ذلك قوله سبحانه ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾ [الكهف:١٠٧ـ ١٠٨] فهذا في حق الإيمان وعمل الصالحات ، وقوله سبحانه في الإتقاء: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة:٢٧] معناه إنما يتقبل الله إيمان من اتقى وعمله ، والإتقاء فهو اتقاء الفاحشات كما قال سبحانه : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[القصص:٨٣] إلى ما أوضحه الله في كتابه وجاء به رسوله عليه وآله السلام ، وأجمعت عليه الأمة وحسن في قلوب الجميع فعله ، فيلزمك القبول لذلك والإعتقاد والقول والعمل به .

[الإيمان والإسلام]

والإيمان : فهو التصديق لله ولرسوله بالقلب ثم يعتقده ويقول به ويدعو إليه والعمل بالصالحات ، واتقاء الفاحشات كمال الإيمان وتمام الإحسان ، ورحم الله من حاط دينه عن الإختلاط والفساد .

فأما الإيمان فينقسم على ما نوضحه بعد ، وهو التصديق بالقلب واللسان .

والإسلام : فهو التسليم لأوامر الله بالصالحات ونواهيه عن الفاحشات فمن آمن صدق ، ومن أسلم لأوامر الله ونواهيه و لم يخالفه ، فهذه جمل لا بد لك من معرفتها وبالله التوفيق .

باب الفروض

الأول منها: من الإيمان فهو معرفة الله عز وجل ، ومعرفة الله سبحانه تنقسم على ثلاثة أوجه: التوحيد والعدل ، والتصديق .

[التوحيد]

فجملة التوحيد الإعتراف له سبحانه بأنه واحد ليس كمثله شيء، و لم يكن له كفواً أحد ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فنعوذ بالله من تهدده وتوعده وغضبه وأليم عذابه ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ**

سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] أي شبيهاً .. كلا ، بل هو الله الذي وصف نفسه بأجل الأسماء ، ودل على نفسه بفعله ، فقال لذوي العقول التي ركبها فيهم حججاً ، انظروا وتأملوا واستدلوا بالشاهد من الأمور على الغائب، وبالظاهر على الباطن ، واستعملوا ما يحسن في العقول وذروا قول الجهول ، فالصنعة في الشاهد تدل على الصانع والأثر على المؤثر والتأليف على المؤلف والفعل على الفاعل ، فانسبوا إلى كل ذي فعل فعله وما تختارونه أيها العقلاء لأنفسكم ، وترضونه أن يفعل بكم وبمن يمسكم فارضوه لغيركم من أبناء جنسكم من ولد آدم ، فإنكم ولد أبٍ واحد خلقكم من ذكر وأنثى وجعلكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقال فيما دل به على نفسه : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:١٦٤] فدل بآثار صنعه على صانعها ، لأنه سبحانه لا يجوز عليه الرؤية ولا المشاهدة هو وصف نفسه بما ذكر في كتابه من آثار صنعه، فاستدل عليه بما أظهر من لطيف فعله في السماء والأرض وما بينهما والليل والنهار

ومـــا شـــاركهما من كل محدث ، كان بعد أن لم يكن ، فهو موجده وصانعه عز وجل عن شبه خلقه وظلم عبيده.

[الوحدانية]

واحـــد غير مفقود كما وصف نفسه فقال :﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٢] لا ثـــاني معـــه ، ولا رب غيره ، جل عما يصفون ، تعتقد ذلك بأوكد إيقان وصحة إيمان ، حتى لا تعمل فيك خواطر الشكوك ، ولا تزول عن الأصول ، ليس له نظير ولا عديل فصفته لفعله كما قدمناه من أثر صنعه ، وهو جميع ما أظهر من خلقه وصفته لنفسه وذاته حقيقة وجوده ، ولا مثل له ولا نظير ، وما سنذكره من صفة القديم العزيز ، فهو أول الأشياء لا أول قبله .

[صفات الذات]

وصـــفته لذاته فهو قولنا لنفسه ، نريد بذلك حقيقة وجود الذات واحـــدة ، والرب واحد لا إله غيره ، موصوف بصفات ذاته ، لا يجوز عـــليه الضد في أسمائه لذاته ، ويجوز على صفات الفعل نحو قولك خالق وغير خالق ، وارزق وغير رازق ، لأنه كان غير فاعل ثم فعل ، ولا يجوز في صـــفات الذات التي هي مقدم قولنا العلم والقدرة وما جرى مجراهما التضـــاد، فنقول عالم وغير عالم ، وقادر وغير قادر ، وكلّما يجوز عليه

التضاد يعلم أنه صفة فعل ، وما لا يجوز عليه التضاد يعلم أنه صفة ذات ، فتفرق بين الصفتين حتى تكون عالماً بالله سبحانه وما يستحقه ويفعله ، عارفاً التغيير والنقصان يلحق بفعله ولا بلحقه في نفسه وذاته ، عز ربنا وجل ، فما خطر ببالك وألمّ بقلبك أن كيف هو ؟ وأين هو ؟ أو حيث هو ؟ أو ما هو ؟ وما شابه صفة محدثة من هذه الحروف وغيرها .

فاعلم أنه بخلاف ذلك كله ، وأنه خالق هذه الحروف وغيرها ، ولا يجوز عليه شيء منها ، حتى إذا اعتقدت ذلك علماً وسكنت إليه نفسك حقاً ، آمنت به صدقاً ، علمت حينئذ أنه عز وجل عن كل شأن شأنه خلاف ما يتوهمه المتوهمون الجاهلون ، وأن العارفين به هم الموحدون ، وليس كما يتوهمه المتوهمون أو يظنه المتظننون عن تشبيه أو غيره ، بل لا يعرف سبحانه إلا بفعله ، ولا سبيل إلى معرفته من غير هذه الطريق ،ومن عدل عن الإستدلال عليه بفعله وترك النظر كان ظاناً مقلداً كما قال سبحانه فيما حكى من قول من تقدم وخلى من الجهلة المقلدين : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] وما يشاكل ذلك من القرآن كثير والعلم فواسع غزير ، وقصدي أن أجمع لك الأصول وما لا يسع جهله .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (تفكروا في

المخلوق ولا تفكروا في الخالق)[1] ، واجعل فكرك في صنعه ، لتستدل على عجيب فعله وعظيم قدرته في كل محدث ، ولا تفكر فيه فإنك تتيه وتملك نفسك ، واستدل باليسير على الكثير تسلم ،فهذه جملٌ تبين لك الصـــواب ، وكل من أيدها من الموحدين المسلمين فهو عالم ، وكل من نقضـــها أو شبهها بصانعها فقد أفسد ، فيعلم أنه جاهل لا علم معه ، فهذه جمل التوحيد ، وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

باب الأصل الثاني وهو العدل

وهو أن تعتقد أنه عدل لا يجور ولا يظلم العباد ، أقدر على الطاعة وفعلها ، ومكن من ترك المعصية واجتنابها ، ثم أمر ونهى من بعد إزاحة العلة لكل من كلف بما أتى ، فقال سبحانه: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَـــنْ أَسَـــاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصلت:٤٦] وقال : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيـــنَةٌ**﴾ [المدثـــر:٣٨] ، وقال : ﴿ **بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ [القيامـــة:١٤] وقـــال : ﴿ **وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾ [النجم:٣٩ــ٤١] وقال : ﴿**وَمَا**

([1]) وفي الأثر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : (من تفكر في المخلوق وحد، ومن تفكر في الخالق ألحد).

﴿خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات:٥٦] ، وقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة:٧ ـ٨] .

فهذا كلام الله كله في غير موضع من كتابه ، إلى ما هو أكثر من أن يحصى ما يوضح له العدل سبحانه ، وما قبله من التوحيد في القرآن كثير، وهذا منتهاك على الطلب له إلى ما في العقول من استقباح القبيح واستحسان الحسن ، فيجب أن تبتغ[1] ما قاله الرسول عليه السلام ونفاه عن الله الجليل من السفه والظلم ،لأنه حكيم في فعله ، غني عن ظلم عباده عزيز حكيم ، والعزيز الحكيم ليس بمحتاج إلى دفع ضرورة ، ولا إلى اجتلاب منفعة ، ولا يفعل ما ليس بمحكم ، وتفهم من ذلك وقس عليه ، واجعله عَلَمًا ودليلاً تقصد إليه وبالله التوفيق .

---

(١) في (ج) : تتبع .

باب الأصل الثالث

وهـــو أن تعلم أن الله صادق في وعده ووعيده ، ثم تعتقد أنه صادق في الوعـــد لا يخلف الميعاد كما قال الله سبحانه ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً**﴾ [النساء:١٢٢] ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء:٨٧] ، وقـــال : ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق:٤٥] وقال : ﴿ **لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [ق:٢٨_٢٩] وقال سبحانه: ﴿ **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ [الأنبياء:٩٠] أي خوفاً وطمعاً ، فتعلم أنهما مقرونان لا بد من إنفاذهما كمـــا وعد وأوعد وأن من دخل النار لا يخرج منها أبداً والشاهد على ذلك كثير من كتاب الله تعالى ، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بعـــض[1] مواعظه وزجره ونهيه، وأما في العقل فإن كان فاعل حكيم إذا كـــان آمراً ناهياً مطاعاً متبعاً متى لم يكاف المحسن على احسانه و لم يرغب إليه ، ومتى لم يكاف المسيء على إساءته لم يخف منه ، و لم يهب جانـــبه وفســـد عليه أموره ، وكان هيناً على غيره ، ومن لم يكن من العقـــلاء هكذا لم يكن حكيماً وكان ساقطاً عندهم ، لأنه لم يستعمل

---

(١) في (ح) : بدون (بعض).

عقلـــه بل اتبع هواه وجهله ، ولو كانت الشفاعة لمن مات مصراً على كـــبيرة لـــبطل قوله سبحانه : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**﴾ [الزلزلة:٨ـ٩] .

[الشفاعة]

فتعـــلم أن الشفاعة إنما هي للتائبين الراجعين النادمين ، الذين ذكروا قبيح ما فعلوا ، فخافوا الله سبحانه ورجوه ، فرجعوا راغبين نادمين إليه، فيســـأل الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم الزيادة على ما استحقوا بالتوبة، لأن بعض أعمارهم مضى بسوء اختيارهم لم يكسبوا فيه شيئاً ، وما اكتسبوا فيه من المعاصي الكبار محبطة فلما تابوا كانت التوبة حسنة نـــدب الله إليها فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [الـــبقرة:٢٢٢] فبطـــلت بالـــتوبة لأنها حسنة قال الله سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود:١١٤] فمن مـــات مصـــراً هلك ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هلك المصرون قدماً إلى النار) .

وقـــال ســـبحانه : ﴿ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١] وغير ذلك من القرآن فكثير يستدل بهذا على ما هوأكثر منه.

فهذه الثلاثة من عرفها على الجملة وتمسك بها على مافيها بدلائل

العقل والسمع لأنها حجة على خلقه يسلم .

[الدليل السمعي]

والسمع ينقسم على ثلاثة : كتابة الله وسنة رسوله وإجماع الأمة ، وقد تقدم في أول كلامنا ذكر ذلك .

فهذه الأربع على التحصيل فافهمها فأول نعم الله التي تدرك بها الثلاث وأفضل نعم الله العقل الذي يميز به بين الحسن والقبيح جعله الله حجة ودلالة لما افترضه ، فكان أول ما افترضه على خلقه معرفته وهي الثلاثة : توحيده ، وعدله ، وتصديقه فيما وعد وتوعد .

ثم نعم الله من بعد ذلك لا تحصى وحججه فأعظم من أن تنسى ، فسبحان من لا يغامض عبداً ولا يُحرِج أبداً ، قد أحسن بدوّاً وعوداً ، فله الحمد والشكر .

[معنى الحمد والشكر]

وتفسير الحمد: فهو الرضا بفعله وبنعمته كلها وجميع قسمه ، ما يسكن إليه وما يقرب منه.

والشكر: ذكره بما هو أهله جل وعز ، الغني عن خلقه ، إنما خلقهم متفضلاً عليهم ، لا حاجة منه إليهم تعبدهم مصلحة لهم ، ليعرضهم للمنافع كلها .

[المنافع]

والمنافع : فهي ثلاثة نفع مستحق يعمله عامل فيأخذ عليه داخل لنفع له ولغيره ، فيستحق المؤلم العوض على ألمه ، مثاله أن يأمره غيره في يوم بارد يسقي غيره من الضعفاء والعطشاء ، فقد آلمه لغيره ، فلا بد من عوض يأخذه وينتفع به ليكون الألم حسناً ، والأول يستعمل ثوباً أو بنياناً، أو شيئاً ينتفع به أو أشياء ينتفع به غيره بعمله فيستحق أجره ، فهذان الوجهان مستحقان بألم وعمل ، والوجه الثالث هو التفضل صاحبه بالخيار أن تفضل بما أحب شكر عليه ، وإن لم يتفضل لم يذم عليه ، فهذه الوجوه وجوه المنافع أراد الله سبحانه أن يوصلها إلى عباده مصلحة لهم ، ولم يكن السبيل إليها إلا بالفعل الصالح والألم المصلح، فابتلاء العباد بما تسكن إليه نفوسهم وتهواه أو تحبه وتشاه ، وابتلاءهم بما تكرهه نفوسهم وتنفر عنه ولا تشاه ، لأنه غامٌ ، والآخر سارٌ ، والنفس إلى الرفاهية أميل وإلى ما تقدم من النفع أعجل ، وهو بالمصلحة أعلم — سبحانه — من خلقه فقال سبحانه : ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي**﴾ [الفجر:١٥] .

يا هذا أكرمك لتعصيه وتفسد في أرضه وتظلم عبده ، ما هذا يستحق من أكرم !! ﴿ **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي**﴾ [الفجر:١٦] أهانك يا هذا لينتفع أو يدفع عن نفسه بإهانتك

ضرراً ؟!! جل وعلا ، أليس هو الغني الحكيم العزيز الذي لا يحتاج ولا يذل ؟! والحكيم لا يفعل القبيح ، وأي قبيح أقبح من إدخال الإهانة على غير مستحقها ..لا والله ولكن جهلوا الله سبحانه ، فجهلوا أفعاله ، وإنما يتبلي العباد بهذين الوجهين ، لأن ذلك مصلحة لهم وإن كانوا لا يعلمون، كالجدب والخصب والصحة والمرض والقوة والضعف والسواد والبياض والشرف والدون ، فمن صبر على ما لا يحبه أجر ومن شكر على ما يريد أجر ، لأن الدار دار بلوى ، وليست بدار البقاء ولا دار الجزاء فلا يكون فيها محن ولا ابتلى .

[العقل]

وفي العقل دلالة على صحة ما فعل الله تبارك وتعالى بالعباد ليرفعهم به إلى أجل المنازل ، ألا ترى أن الحكيم متى يؤدب ولده وأهله ومملوكه بالضرب وغيره من الزجر الذي هو ألمٌ ويحجم نفسه ويشرب الدواء ويقصد فيما أدخله على نفسه فكذلك حسن إيلام الله لعبده وهو تأديب، لأنه لو لم يفعل ذلك بهم لبطروا وأشروا ، فيجب على كل ذي محنة التعزي بالأخيار ، كأيوب صلى الله عليه وسلم ، وغيره ، ويصبر فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ويجب على من امتحن الله بالنعم كسليمان النبي صلى الله عليه وسلم أن يشكره ويضع النعم موضعها ، ويذكر فضلها ويصبر على طاعة الله

ليؤجر ، فمن ابتلي بأجل منـــزلة كانت له مطالبته أعظم لعظم نعم الله ســبحانه عـــليه وأياديه سبحانه إليه ، إن شكر زاده الله وإن كفر كان أعظـــم لعقوبته ، فتأمل ذلك فإنك تعلم أن الله سبحانه قد عرض لكل المـــنافع ولأرفع المواضع في الآخرة ، فمن قبل رشد ، ومن أعرض فمن نفسه أتي ، لا من الله عز وجل .

فهذه جمل يكتسب عاملها هدىً وصلاحاً وسكون قلب ، واعتدالاً وفقك الله لما أحب ، وأعاننا وإياك على طاعته ، إنه سميع مجيب.

باب الأصل الرابع

في معرفة ملائكة الله والإيمان بهم

وهذا الكتاب فمبين[1] على ما ذكر الله تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿ آمَـــنَ الرَّسُـــولُ بِمَـــا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَـــتِهِ وَكُتُـــبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

فالإيمان بالله يكون بعد معرفته بصفاته لذاته وصفاته لفعله وقد قدمنا ذلك . كذلك يجب أن يعرف الملائكة صلوات الله عليهم بصفاتهم ، ثم

---

(١) في (ب): فبمنٍّ .

يؤمن بهم فإن الإيمان بمن لا يعرف جهل ، كذلك قال الله تعالى :﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦] .

[العلم الضروري والإستدلالي]

والعلم فهو ما أدرك من وجهين لا ثالث لهما :

علم يسمى علم الضروري : وهو ما يدرك بالحواس الخمس ، نظراً وشماً وذوقاً ولمساً وسمعاً بالعين والأنف والأذن واللسان واللمس لسائر الجسد ، فأي شيء أدركته هذه الحواس الخمس فهو كما أدركته لا شك فيه ولا يظن به غيره ولا يشك فيه أحد ، فعل من الله تبارك وتعالى والعبد اضطر إليه ، وجعل هذا العلم الضروري أصلاً لعلم الدليل ، فكل علم لا شك فيه فهو علم ضروي ،

وعلم الدليل : هو ما يستدل على الغائب مثل الفعل على الفاعل والأثر على المؤثر والسماء والأرض وما بينهما وجميع ما يشاهد من فعل الله ضرورة ،فهو دليل على فاعله لأن خالقنا جل اسمه لا يعلم ضرورة ، ألا ترى أنك إذا عاينت وجهاً حزيناً تستدل بما ظهر في وجهه على الحزن الذي في قلبه ولا تعلم بالسبب الذي أحزنه ، وتستدل بالبشر[1]

---

(١) في (ج): زيادة الذي.

في وجهه على سرور قلبه ولا تعلم السبب الذي أسره، والعلم الضروري أصل والدليل على علم جعله الله للإكتساب علم بدليل ، والدليل الذي يلحقه الشك ويمكن أن يظن به معلوم والأجر والثواب والحمد إنما جعل لما وقع عليه الظن والشك ، وأقام على ما دله الدليل و لم يرجع لأن الفاعل لا يزيل اليقين بالظنون وما يعلمه الإنسان ضرورة فلا أجر له عليه ، ألا ترى أن الملحدين والمنجمين والمتظننين الذين كلهم كفروا قد شاهدوا معنا السموات والأرض واستدلوا كما استدل الموحدون ، وليس لهم أجر على النظر إلى ما رأته العيون ، وإنما الأجر على ما أدرك علمه بالقلوب قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج:٤٦] .

[خطر التقليد]

فهذان طريقان للعلوم تعرفها وكن ممن ينظر بقلبه ويعتبر بغيره ، فإن الفرق بيننا وبين العقلاء من غيرنا، أنا تأملنا ونظرنا فاكتسبنا بالدلالة علماً نفعنا ، وهم نظروا واتبعوا أهوائهم وقلدوا ، فهم كالبهائم لا نظر لهم إلا بأعيانهم ولا تعلم أين يُذْهَبُ بها حتى تقع فيه إما رعياً وإما علفاً ، وكذلك المقلد لا يزال غافلاً حتى يموت لم يعلم أنه كان مضيعاً ، وكذلك قال الله تبارك وتعالى لنبئه عليه وعلى آله السلام : ﴿ **وَلاَ تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف:٢٠٥] وأمر سبحانه بالنظر فقال : ﴿ **أَفَلاَ**

﴿يَنْظُرُونَ﴾ وقال : ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ كذلك لئلا يهلكوا ، ولذلك وجب النظر ولا سيما مع اختلاف البشر ، فكل يقول الحق معي وهو عنه صاد ، لأن الحق إنما يعرف من الوجهين اللذين قدمنا العقل حجة على كل مخالف وموافق والسمع على الموافق ، وطريق العلم أصله كبير ، فافهم ذلك .

واعلم أن السماء والأرض محلهما في ملك الله تبارك وتعالى من صغرهما في ملكه ، كبيت في صحراء ، أنّى يقع البيت في الصحراء ، وكمحل حلقة في أرض فلاة ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك قال الله : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] والكرسي ما يستقر عليه ويكون محلاً لما يحل فيه ،فجعل الله السماوات والأرض مستقرة في حيز ملكه ،ليس يجوز أن يكون حيث هما سماء ولا أرض معهما ، بل لو أراد أن يخلق جهاتها خلقاً من بعد خلق فعل ، والجهات الست فوق ، وتحت ، وأمام ، ووراء ، ويمنة ، ويسرة ، فصار قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ معناه وسع ملكه السموات والأرض ، لا يمسك السماء من فوقها علاقة ولا من تحتها عماد ، ولا يمسك الأرض من تحتها ولا فوقها شيء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١] وقال سبحانه :﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[لقمان:١٠] فعلمنا أنها على غير شيء ، ثم قال: ﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر:٤١] .

فعلمنا إنا ليس بشيء يمنع أن لو ترك إمساكهما فدلنا على قدرته وسعة ملكه ، فسبحانه وتعالى وله الحمد على ما أولى ، فأنزل الله الملائكةعليهم السلام السماء مصلحة لهم ، وأنزل الإنس الأرض عبيداً مأمورين مكلفين منهيين ، كل واحد نزل فيما علم الله سبحانه أنه أصلح له لأنه الخبير البصير بعباده ، وبمصلحة خلقه ، خلق الجميع ليعرضهم للمحل الرفيع ، فمن أطاع سلم ، ومن عصى ندم ، فأفضلهم أكثرهم علماً وعملاً ، لقول الله سبحانه في الملائكة ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] وقول سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] ومن لم يفتر من الطاعة كان أعظم في المنزلة ، ومن لم يعص الله كان أعلى درجة ، فهو أفضل خلق الله ، ولذلك خصهم لرسالته من الإنس والجن وأكرمهم بذكره ، فقال : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢] .

والمشـــبَّه[1] به في لغة العرب هو الأفضل ، والملائكة أفضل من جميع الأنبياء ، والأنبياء أفضل من سائر الناس ، ولذلك خصهم الله برسالاته ، فقال سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ فيجب أن يؤمـــن بالملائكـــة على هذه الصفة ويقدمهم في الرتبة ويعلم أنهم ليسوا بمجـــبورين ولا على الطاعة محمولين قسراً ، بل أمراً وتخييراً ، كما خير العـــباد فاخـــتاروا الرشاد ، فليس فيهم كلهم عاص ، بل هم مطيعون أجمعـــون ، عـــبيد مكـــرمون ، كمـــا قال سبحانه : ﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** ﴾ [مريم:٩٣_٩٤] فلهم المنـــزلة الشريفة ، فأعرفها لهم، وقدمهم، وأقـــر بهم بعد معرفتهم ، فهذه جمل يطول شرحها فهمك الله علمها ، كما وضح للجميع سبلها بمنة وقدرته ، فله الحمد والمن .

---

(١) في (ب): والمستنبط الصحيح ما أتنساد.

باب معرفة الأنبياء عليهم السلام

وهو الأصل الخامس

اعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الأنبياء إلا بمعرفة الدلالة التي تدل عليهم، والدلالة فهو ما يحدثه الله عز وجل على أيديهم من المعجزات التي تخرج عن العادة، ويتحدّى بها أهل الصناعة فيعجز عنهم كل من تحدوه من أهل الرئاسة ، فإذا أحدث الله ذلك على عبد من عبيده وظهر كان دالاً على صدقه ، وعلى أنه رسول صادق ، وكان كل من ظهر على يده معجزة يجب أن يكون نبياً ، لأن الله سبحانه لا يظهر معجزاته وعلامته على أيدي الكذابين ، إذاً لبطلت الحقائق ، ولم يفرق[1] بين العاقل والجاهل ، ولا بين الصادق والكاذب ، ولا يجوز أن يظهرها على أيدي الصالحين المؤمنين ، وعلى أيدي الأئمة المنتجبين ، فيلتبس الأمر ولا يمكن التفرقة ، ولكن للصالح البر علامة وللأئمة الصادقين علامة ، حتى يكون من يشارك الأنبياء في المعجزات كان نبياً ، ومن شارك الأئمة في الصفة التي ذكرتها في باب الإمامة وجب أن يكون إماماً ، ومن يشارك الفجار في صفتهم كان فاجراً ، ليتميز المحق من المبطل ، وإلا لم تقع المعارف ولم يمكن التأليف ، ووقع الإشكال وادعى كل فريق أنه محق وأن الحق معه ،

---

(١) في (ح): ولم تفرق.

وهذا ما قدمنا ، والحمدلله .

ولجهله قالت النصارى إن لله ولداً ، وأن الثلاثة واحد ، وأن الواحد ثلاثة ، وكذلك كل مشبهٍ جاهل فلا الله عرفوا ولا النبي عرفوا ، ومثال هذا من قال إن الرطب عنب فلا العنب عرف ولا الرطب عرف ، فافهم هذا .

ويجب أن لا يُعتبر باختلاف المعجزات في الأوصاف ، ولكن يعتبر مشاركتها فيما كانت له معجزاً ، ألا ترى أنا لا نعتبر خلاف الأنبياء في الصفة والبلدان والألوان متى اشتركوا في المعنى ، كبني آدم ، وإن اختلفوا فهم آدميون ، وكولد أبٍ ، وإن تفرقوا فالأب يجمعهم ، والميراث لهم ، وكالحنطة والشعير والعنب والخيل والحمير والإبل وكل حي وجماد ، لأن جميع ما خلق الله حيوان وجماد.

[أقسام الحيوان]

والحيوان ينقسم إلى قسمين مكلف وغير مكلف ، فالمكلف الملائكة والجن والإنس ، وما ليس بمكلف فجميع البهائم والطير خلقها الله للعالمين نعمة عليهم ، ليعتبروا وينتفعوا بها ، والجماد قسمين نامي وهو الخضار كله ، وغير نامي مثل الأرض والحجر والمدر والماء وما لا نمو فيه هو على حال واحدة ، وجميع الجماد والحيوان خلق للمكلفين كما قال تعالى :﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ**

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣] .

واختلاف هذه الحوادث كلها تدل على صنعة صانعها أنه حكيم ، إذ جعلها أضداداً وأمثالاً ، فعلم بذلك أن الضد والمثل لا يجوز عليه ، وكذلك جعل فيها الزيادة والنقصان والحاجة و لم يجز عليه ما جاز عليها مع اختلاف أوصافها كلها في أنها محدثة زائدة ناقصة ، وما اشترك في الحياة الدنيا فحي وإن اختلف وصفه ، وما اشترك في نوع من الأنواع فهو مثله ، ولذلك قلنا إن اختلاف المعجزات في صفاتها لا يمنع من اشتراكها في أنها مخترعة لم تجر بمثلها العادة ليتحدى بها من أظهرها الله على يديه .

فمن استوت فيه على ما ذكرنا كان الدلالة على صحة ما قلنا وبطل اعتراض من عارض ، ألا ترى أن المعجزات التي ظهرت على يدي موسى عليه السلام مختلفة أوصافها ، وذلك حجتنا على اليهود لعنهم الله تعالى بأن نقول لهم : ما الدلالة على نبوة موسى عليه السلام ، فإن قالوا إجماعكم معنا على أنه نبي ، قلنا لكم لم نجتمع معكم على أن موسى كذب محمداً عليهما السلام ، ومنعكم من اتباعه ، وقال لكم لا تؤمنوا بنبي بعدي من قال لكم هذا فليس بنبي ، ونحن إنما آمنا بنبي ذكر الله تعالى اسمه موسى بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، وأمر أمته

بإتباعهما ، فقد بطل ما ادعيتم بالإحتجاج على ما ذكرتم من الإجماع لما قلنا ، فتحتاجون إلى دلالة تدل على أن موسى نبيكم صادق ، فلا تجدون بداً من أن تقولوا يدل على صدقه المعجزات التسع ، قلنا وما هن؟ قالوا : ما أظهر الله على يده من العصا ، واليد البيضاء ، وانفلاق البحر ، وانحباس الحجر ، وغير ذلك من المعجزات التسع ، فيقال لهم : وما في ذلك من الدلالة؟ فيقولون : جاء إلى السحرة وهم الرؤساء والكبراء والدولة لهم وكانوا يفتخرون بالسحر ويترأسون به ، فتحداهم إلى الإيمان بمثل ما شاكل فعلهم ، وطلب الترؤس ، فثبتت حجته على الناس ، فمن أطاعه في وقته سلم وغنم ، ومن خالفه هلك وندم .

(قيل لهم) : هذا مع اختلاف أوصاف معجزاته لم يعتبر بذلك ، لأنها مشتركة في أنها مخترعة خارجة عن العادة متحدا بها ، فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : فما أنكرتم على عيسى ومحمد عليهما السلام ، وقد جاء عيسى إلى أهل زمانه ، وكانوا يترأسون بالطب والفلسفة ، فجاءهم بما يشاكل فعلهم ، فتحداهم فعجزوا ، كإحياء الموتى بإذنه ، وابرأ الأكمه والأبرص ، وغير ذلك ، فأجابه المحق وعدل عنه المنافق ، وكذلك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتى العرب وكانوا في زمانهم إلى وقتنا هذا يفتخرون بالشعر والسجع والخطب والرجز والنثر من الكلام ، ويترأسون

ولم يكونوا أهل طب ولا سحر ، فجاء بما شاكل ما يفتخرون به وهو القرآن المعجز في نظمه وأخباره بما يكون ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم أمياً نشأ بين ظهرانيهم ، فعجزوا فأجابه المحق وعدل عنه المبطل ، فليس مخالفة محمد عليه السلام لعيسى عليه السلام في صفات المعجزات بأكثر من خلاف معجزات موسى عليه السلام بعضها لبعض ، ولن يمنع ذلك أن يكون ما كان له معجزاً مشتركاً فيه .

كذلك لا يمنع ما جاءَ به محمد وعيسى عليهما السلام أن يكون صحيحاً وإن اختلفت الأوصاف للمشاركة في المعنى ، وإنما أوجب خلاف صفاتها اختلاف أوقاتها ، ووجوب المصلحة فيها ، لأن كل وقت غير الوقت الآخر ، وألسنتهم مختلفة ، وطبايعهم مختلفة ، فوجب أن يأتي كل طائفة رسولها بما يعرفون وإلا لم يكن ذلك صواباً ولا حكمة ، ألا ترى أن الكاتب يتحدى الكاتب ، والفارس يتحدى[1] الفارس ، والشاعر يتحدى[2] الشاعر ، وكل صاحب صنعة لا يحسن أن يتحدى إلا ما هو مثله ، في قول الله عز وجل على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [الجاثية:١٣]

---

(١) في (ج): بدون يتحدى.

(٢) في (ج): بدون يتحدى.

وقوله: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨] ويقول: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] ، في مواضع مختلفة وأوقات متفرقة دلالة على نبوته ،فلما عجزوا عن إجابته عدلوا إلى حربه وسبه وأذاه ، وقالوا : ساحر ، وشاعر ، ومجنون .

فمن عرف هذه الطريقة آمن بالرسول على حقيقة ، ويعلم أنهم تحيروا لما عجزوا فلم يعرفوا الشاعر ولا المجنون، لأن هذا القرآن ليس بشعر ولا سحر ولا يأتي به مجنون ، وإنما هؤلاء المعاندون أهل الرئاسة ، فأما المصدقون المؤمنون فسلموا وصدقوا ، فعلموا أن دلائل الله وإن اختلفت أوصافها معجز ، فبان بالمعجز الأنبياء ، فإن آمن اليهود بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام ، وإن كفروا بمحمد كفروا بموسى وعيسى عليهما السلام ، لأن ما يوجب صدق أحدهم يوجب صدق جميعهم ، وإن اختلفت الأوصاف وبالله التوفيق . فهذه أصول في النبوة لا يجوز المعجز إلا النبي ، فافهمها إن شاء الله تعالى .

باب الأصل السادس
في معرفة كتب الله عز وجل

ثم لا بـــد من الإيمان بكتب الله عز وجل ولا سبيل إلى الإيمان بها إلا بعد معرفتها ، ومعرفتها أن تعلم أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن ، وقولنا كلام الله كقولنا أسماء الله وأرض الله وعبيدالله ، إذ لا فاعل لذلك كله غير الله عز وجل ألا ترى أنك تقول ، دار زيد وغلام زيد وكلام زيد إذ لا فاعل للكلام غيره ، ولا مالك للدار والغلام غيره ، وكذلك لما كان الله ســـبحانه وتعالى مالكاً للسماء والأرض والعبيد ، وما بينهما نسبت إليه ، كذلك كتبه هي كلامه ، كما تقول كلام عمرو وكتاب عمرو ، والكتاب غير من نسب إليه ، والكلام غير المتكلم ، فكل ما فعله الله فهو مخلوق وإن اختلفت صفاته جماد ، وحيوان ، وكلام ، وكتاب .

فمـــن قـــال إن مع الله عز وجل قديماً غيره فقد كفر ، ومن شبهه بالعباد فقد فجر ، والدلالة على ذلك من القرآن وهو السميع العليم من بعد ما بان لك من جهة العقل وهو قوله سبحانه: ﴿ **مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِـــنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنبياء:٢] ، وقال: ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**﴾ [الشعراء:٥] .

والمحـــدث : هو ما كان بعد أن لم يكن ، فقد تقدم وصفه ، وقال

سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣] وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [الإسراء:١٢] فلم يفرق بينهما إنهما مجعولان إذ كانا لله فعلين مخلوقين وإن اختلفا ، وقال:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] وقال:﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥] ، وقال: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٦] فلم يفرق بين الكلام وهو القرآن ولا بين الجماد وهو الحديد وبين الحيوان وهو النعم إن سماها كلها إنها منزلة لما كانت مفعولة مخلوقة كانت بعد إن لم تكن هذه صفات الخلق ، وليس يجوز أن يوصف الله سبحانه بصفات خلقه ، فمتى عرفت ذلك آمنت بجميع كتب الله كلها وعلمت أن كل كتاب أنزل على قوم في وقت ، إنما كان مصلحة لهم آخر الكتب القرآن الذي سماه فرقاناً ، فرق به بين الحق والباطل وبين من كذب على الأنبياء الماضين عليهم السلام ، وبين من صدق وأنه خاتم الكتب ، ورسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم المرسلين ، فإنه ما نزل كتاب ، ولا جاءَ رسول إلى الناس كافة إلا رسولنا وكتابنا ، وإن اختلاف الشرائع على حسب المصالح ، وأمر بني إسرائيل بإمساك السبت والصلاة إلى بيت المقدس .

[البدا]

وغير ذلك مما لم يأمرنا وعدل بنا عنه إلى الكعبة ، إنما فعله مصلحة للعباد على حسب ما يكون موجب صلاحهم لأنه العالم بهم وليس يمنعهم عما هو أصلح للعباد ، فيجب أن يطاع في أمره ونهيه ، ألا ترى أن كل مالك إذا أمر ونهى قوماً بشيء فاستمروا وفعلوه، ثم نهاهم عن مثله إن ذلك ليس بقبيح ولا بدا ، وإنما ذلك مصلحة ، كالطبيب الذي يقول أفصد اليوم ثم يقول في غد لا تفصد ، فما أمرك به أمس هو غير ما نهاك عنه اليوم الذي مضى أمس كان مصلحة .

فليس لليهود أن يقولوا إن الله سبحانه إذا منع من إمساك السبت اليوم والصلاة إلى بيت المقدس أنه قد بدا له ، ونحن وإياهم لا نجوز على الله سبحانه البدا ، فنحتاج أن نعرف البَدَا ما هو ؟

(**فالبَدَا**) : أن يأمر الآمر بالشيء ثم ينهى عنه ، ثم لم ينفذ فيعلم أنه قد بَدَا له ، لأن من كان كذلك فهو من البشر لا يعلم الغيب ، فإنما يَبْدُوَ له رأي ، ثم يعقب الرأي فيه ، فيراه خطأ فَيَبْدُوَ لَهُ وما جرى هذا المجرى ، فلا يجوز على الله عز وجل ، وما أمر الله سبحانه من إمساك السبت والصلاة إلى بيت المقدس فقد مضى ونفذ واتبع السنين والدهور، ثم جاءَ رسول صادق فقال : لا تمسكوا مثله وليس الذي مضى هو الذي

أتى فهو مثله، فعلمنا إن هذا ليس هو بَدَا إنما مصلحة ، كرجل قيل له : كل رغيفاً ، فلما أكله قيل له لا تأكل الآخر ، فالذي نهاه عنه غير الذي أمر به ، وكذلك من قيل له حج العام فحج ، ثم قيل العام الآتي لا تحج، فالأمر بما مضى غير النهي فيما أتى ، فعلمنا أن ذلك ليس ببدا ، وجميع ما يخالفنا فيه اليهود ثلاث ، المعجز الذي قدمنا وصف لأنبياء وقد أبطلنا قولهم ، والبَدَا فهو ما قلنا، فليس نسخ الشرائع ببدا إنما هو مصلحة ، فمتى أفسدنا عليهم هذين الوجهين التجأوا إلى أن يقولوا إنا روينا عن موسى أنه قال : (لا تتبعوا من بعدي أحدا) وهذا كذب ، لأن الذي أوجب صدق موسى حتى قبل منه .

وقد أريناهم أن المعجز صح لعيسى ومحمد عليهما السلام ، لأن نبينا الصادق عليه السلام قد أخبرنا أن موسى وعيسى قد أمرا قومهما باتباع نبينا صلى الله عليه وآله ، جميعاً وبشّرا أنه ذكره الله في كتبهم ، فلزمهم صحة ما قلناه ، وبطل ما ادعوه من الوجوه ، فإن أسلموا سلموا وإلا هلكوا ، ولا يبعد الله إلا من ظلم .

[سور القرآن]

فإذا فهمت هذا علمت أن كتابنا الفرقان مائة سورة وأربع عشرة سورة لا يمكن الزيادة فيه ولا النقصان ، وأن الذي يمكن فيه تأويل السورة للجاهلين ليضلوا الناس بغير علم ، وكذلك قال الله : ﴿ **يُحَرِّفُونَ**

﴿الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:١٣] فتعلم أنه محكم ومتشابه ، وأمثال وقصص ، وأمر ونهي ، وزجر وندب ، مجموع مفصل ، ومقدم ومؤخر، وخاص وعام ، وناسخ ومنسوخ، وتعلم أن الناسخ والمنسوخ لا يكون في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي ، وأما في غير ذلك فلا تأمل مواضع الأمر والنهي ، فإن هنالك الناسخ والمنسوخ تخفيفاً وتثقيلاً على حسب المصلحة .

والمحكم أصل لما يرد إليه من تأويل المتشابه ، فهذه أصول يطول شرحها في الكتاب قد ذكرناها لك لتعلمها لأنه من لم يعرفها لم يعرف الكتب ، ومن لم يعرف الكتب لم يصح له الإيمان بالكتب ، وفقك الله وإيانا لما يرضيه برحمته، إنه سميع مجيب .

باب الأصل السابع

في الإمامة

وأمـــا صفة الإمامة فإن الأصل فيها أنها فريضة من الله ورسوله نطق بها الكتاب ، وجاءت بها السنة.

فأما الكتاب فقول الله تعالى في طالوت وكان إماماً ﴿ **وَزَادَهُ بَسْطَةً فِـــي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ [البقرة:٢٤٧] فهاتان صفتان ، والمراد بالجسم القوة ، لأن الله تعالى لا يمدح عبيده[1] على فعله ، ولا يذمهم على فعله فيهـــم ، وإنمـــا مدحهم على أفعالهم وما اكتسبوه في أعمالهم ، والعلم مكتسب وإن كان الله المنـــزل له ، والدليل عليه ، والهادي إليه ، والعلم به مكتسب ، والقوة فهي قوة الرجل على نفسه ، وضبطها عن القبيح ، وحملها على الحال الصحيح ، وهي تنقسم على ثلاثة أوجه :

قوة الشجاعة ، وقوة الكرم ، وقوة الزهد ، لأن القوي من قوي على نفســـه في الصبر عند الحرب ، والصبر عند حصول المال ، والصبر عند الشهوات ، قسم في الإسلام والمسلمين ما أراد منهم رب العالمين .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أخبركم بالقوي ، وقد رأى قومـــاً يحملون حجراً ، قالوا : من يا رسول الله ؟ قال : من قوي

---

(١) في (ب): عبده.

على نفسه ومنعها من غيه ، وحملها على رشده) .

وقال في رجوعه من بدر : (إنكم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : مجاهدة النفس ، وحملها على طاعة الله عز وجل) ، وهذه صفات أربع من حصلن له من ولد الحسن والحسين عليهما السلام بعد أمير المؤمنين فهو إمامها منبسط فيها ، والبسطة تدل على الفاضل .

وهو مذهب الزيدية القاسمية العدلية ، وقول الله تعالى يؤيد ذلك ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء:٨٣] .

والمستنبط للعلم هو الكامل الذي إذا وردت عليه مسألة من المسائل نظر فيها وردها إلى أصولها ، ثم أفتى بالحق المتعلق بها ، وأمّا ما يؤيد هذا من القرآن فكثير قوله: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ [فاطر:٣٢] ومن ظلم نفسه كان مؤمراً عليه و لم يكن آمراً ، ﴿ **وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر:٣٢] فيجب أن يكون المقتصد هو الذي يعلم طرفاً من العلم ويكون صالحاً في نفسه ، فيجب أن يتبع السابق ،

ليكون له متبعاً معيناً موازراً ، كما قال الله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] وقال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] ، ومن كان بهذه الصفات الأربع اختص بالعلم والشجاعة والكرم والزهادة ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بلغكم في علي عليه السلام بغدير خم[١] في المواخاة له وما يكثر من تسطيره ولا يذهب عليكم علمه ، وقوله : (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٢] وأمثال

---

(١) ــ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة المشهورة ، أخرجه الإمام أبوطالب في الأمالي : ٣٣ ، والإمام المؤيد بالله في أماليه : ٩٠ ، وغيرهما كثير من أئمتنا كما أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣ / ١٣٢ ، وأحمد في المسند : ١/ ٣٣١ ، والنسائي في الخصائص : ٤٥ ، ومسلم : ٢/ ٣١٧ قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، هذا الخبر قد بلغ حد التواتر ، وليس كخبر من الأخبار ماله من كثرة الطرق، وطرقه مائة وخمس طرق ، انظر التحف : ٣٢٥، قلت وقد تتبعها السيد الأميني في موسوعته الضخمة الغدير ، وقال المقبلي في الأبحاث المسددة : ٢٤٤ : (فإن كان مثل هذا ــ أي حديث الغدير ــ معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم) ، وقال السيد المحدث محمد إبراهيم الوزير: (إن حديث الغدير يروى بمائة طريق وثلاث وخمسين طريقاً).

(٢) ــ حديث المدينة من الأحاديث الصحيحة المشهورة رواه أئمتنا وجمع من المحدثين ، رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب العدل والتوحيد ٦٩ (رسائل العدل والتوحيد) ، ورواه الشريف الرضي في مجازات السنة ٢٠٣ ــ ٢٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٦ ــ ١٢٧) من طرق وصححه ، والطبراني في الكبير (١١ / ٦٥ــ ٦٦ رقم ١١٠٦١) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦ / ٩٩ ، وقال : سألت أبي عنه فقال : ما آراه إلا صدقا ، وقد ألّف السيد العلامة

وأمثال هذا كثير ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام (هذان إمامان قاما أو قعدا)[١] ، وأشباهه كثير ، وقوله في ذريته : (إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٢] وقال : (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[٣] فلا يقولن أحد أن عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير

الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري كتاباً حول هذا الحديث استكمل فيه طرقه ، وبيّن صحته ، سمّاه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي)

(١) ــ وفي رواية: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما) هذا حديث صحيح تلقاه أئمتنا بالقبول، قال الإمام المهدي الحوثي عليه السلام في (الموعظة الحسنة) :(وهذا الخبر مما أجمعت عليه العترة وهو نص صريح في إمامتهما عليهما السلام)، ورواه الإمام أبو طالب في شرح البالغ المدرك:ص١٥٠، وكذلك في كتابه (الدعامة) ــ خ ــ والخزار في (كفاية الأثر):ص١١٧، والمفيد في الإرشاد:ص٢٢، وابن أشوب في مناقب أبي طالب:٣/٣٩٤، وأورده شيخنا السيد العلامة الولي مجد الدين المؤيدي في (التحف شرح الزلف): ص٢٢.

(٢)، (٣) ــ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة معنى ، ورد بأسانيد صحيحة عن بضعة وعشرين صحابياً ، انظر لوامع الأنوار : ١/٥٢ . وقد تتبع السيد عبدالعزيز الطباطبائي طرقه ، ومواقعه المختلفة في مجلة تراثنا العدد ١٤ السنة ١٤٠٩ هـ ص٨٤ ــ ٩٣ ، تحت عنوان ((أهل البيت في المكتبة العربية)) ، وكتب العلامة القمي رسالة سماها حديث الثقلين ، وذكر فيها عدداً من الرواة ، وهنالك كتاب اسمه : طرق حديث إني تارك فيكم الثقلين) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي وممن أخرجه الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع : ٤٠٤ ، والإمام علي بن موسى الرضا

ولد الحسن والحسين وذريتهما منه ، فمن ادعا غير ذلك أبطل .

فكونوا رحمكم الله جميعاً ولا تفرقوا فتبتك منكم موابر القوة ، وَتَرِثَ بينكم حبال الإخوة ، وتذهب عنكم خصال المروءة ، وتنبعث فيكم سَوْرَةُ الحمية بأحقاد الجاهلية ، وأهل المذاهب الردية ، فينبوا بكم القرار ، وتعلوا عليكم الأشرار ، ويلحقكم الغبار ، ولا وزر ينجي ذا الرمق ونوى ذا الفلق ، ومن اشتغل بما يعنيه عمل لما ينجيه ، واحترز من الذم ومساويه ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا** ﴾ [الأنفال:٤٦] فكل شيء حسن بالصبر ، ومن جعل الدنيا مطيته والعمل زاده والآخرة قصده استكثر من الزاد ، وتقوى على السفر للمعاد ، وكل شيء من أمر الدنيا والآخرة يحتاج إلى الصبر ، فمن

في الصحيفة : ٤٦٤ ، والإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في مقدمة الأحكام : ٤٠ ، والدولابي في الذرية الطاهرة ١٦٦ رقم (٢٢٨)، والبزار ٨٩/٣ رقم (٨٦٤) عن علي عليه السلام .

وأخرجه مسلم ١٥/ ١٧٩، والترمذي ٦٢٢/٥ رقم : ٣٧٨٨ ،وابن خزيمة ٦٢/٤ رقم (٢٣٥٧) ، والطحاوي في مشكل الآثار :٤/ ٣٦٨ ــ٣٦٩ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤١٨/٧ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٣٦٩/٥ (تهذيبه) ، والطبري في دخائر العقبى ١٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٣٠/٧ ، والطبراني في الكبير : ١٦٦/٥ رقم (٤٩٦٩) ، والنسائي في الخصائص ١٥٠ رقم ٢٧٦ ، والدارمي: ٤٣١/٢ ، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ٢٣٤ ــ ٢٣٦، وأحمد في المسند ٣٦٧/٤ وابن الأثير في أسد الغابة ١٢/٢ ، والحاكم في المستدرك :١٤٨/٣ ، وصححه وأقره الذهبي ، عن زيد بن أرقم ، وروي بطرق أخرى كلها تؤكد تواتره وصحته .

صبر نال ، ومن عجز مال ، فلا يكن أهل الدنيا على دنياهم أحرص منكم على آخرتكم ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:١٢٨] ويجهل من جهل صفة الإمامة ، وادعا الإمامة وهو غير كامل ، ودفع الكامل .

[الروافض والنواصب]

فمن خالفكم من الروافض والنواصب فقد جاء فيهم حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يا علي يهلك فيك رجلان محب غال ومبغض قال) . والنواصب نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده ، فاتبع النواصب أمراء السوء وأئمة الكفر ، واتبع الروافض ما لا يوجد ولا يعلم ، ووصفوا الإمام بصفة الأنبياء ، فلا الإمام عرفوا ، ولا النبي عرفوا ، وكل يخبط في عمياء من أمره ، والحجة على الجميع ما قدمنا في كتاب صدر كتابنا هذا ، في كل أصل ، لأن لكل موصوف صفة ما وافق فيها كان مثالها ، فمن وصف الإمام بصفة النبي لم يعرفهما جميعاً ، ومن أجاز صفة أمراء الفجور بصفة أمراء البر نسب أن الله عز وجل أمر بطاعة من عصاه وهذا كفر ، فتأمل أصول ما

فسرت لك من كتابي هذا تعلم الحق على صحته .

فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : (يا حارث اعرف الحق تعرف أهله ، فإن الحق لا يعرف بالرجال)[1] ألا ترى أن لكل شيء من أمر الدنيا والدين له صفة يختص بها ، ما شاركه فيها كان مثله ، وما خالفه لم يكن مثله ، كالصلاة ، والحج ، والطهارة ، والصيام، والزكاة ، وغير ذلك .

وكل فرض منه له صفة معلومة ، فمن فعل الحج كان حاجاً ، ومن فعل الحجه معه كان مثله ، وكذلك سائرها تجري مجراها ، كذلك أمور الفسق والشرك والزنا ، وكذلك الرمان والعنب والتمر والعسل ، فمن لم يعرف شيئاً منها قبح أن يأمره بفعله إلا أن يعلمه إياه ففي فهمه إياه ومكنته منه وعلمه ، حسن أن يأمره وينهاه ، فلو قلت لمن لا يعرف الرمان اشتر لي رماناً لكنت قد ظلمته وظلمت نفسك ، وما جرى على هذا المثال جميع ما في هذه الدنيا .

فالعلم بالشيء قبل الأمر به ، والعلم أولى بكل ذي عقل ، وفي هذا كفاية لمن قبل ، فأما من عاند وآثر الدنيا فهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ

---

(١) ـــ وفي نهج البلاغة:٥٢١: (يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك ، فحرت إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه).

أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الأنعام:١١١] وذلك لفساد قلوبهم ، واتباع أهوائهم ، وتقليد آبائهم ، وإيثار الهوى لقل الطاعة والتقى ، ومن أراد محلاً محصناً ومكاناً أميناً قدم الرحلة وآثر الطلبة لم تغلب عليه الإساءة ، ولم يرض لنفسه بليت وعسى ، فإن الله تعالى ضمن لأوليائه المعونة فقال: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن:١١] و﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ [الأنعام:١٢٥] فمن أراد ما عند الله آثر رضا الله ، فانظر أدام الله عزك فإنك تبلغ ما أحببت من ذلك ، فإن جمعنا الله وإياك فذلك المراد ، ومن معه إن شاء الله يظهر ما علمنا بطلب ما عنده ، ونودع من دينه ما أودعناه ونجتهد في ذلك ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[١] ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : (نضر الله امرءاً سمع مقالنا فوعاه ثم أداه إلى من لم يسمع)[٢] .

---

(١) ــ الأربعين العلوية : ١١ ، وذكره ابن القيم في مفتاح السعادة : ١٦٣/١ ، ١٦٤ ، وأخرجه العلامة الحافظ محمد ابراهيم الوزير في كتابه الروض الباسم : ٢١/١ ــ ٢٣.

(٢) ــ رواه الإمام المؤيد بالله عليه السلام في شرح التجريد ــ خ ــ ، وأخرجه الترمذي : ٣٣/٥ ، وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه : ٨٥/١ بألفاظ مقاربة.

قال الله سبحانه : ﴿لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] وقال: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] فإن يجمع الله فَسَيُسرَّ كلٌ بكلٍ ، وإن تكن الأخرى فعقولكم والحمدلله صحيحة وكتاب الله وسنة نبيئكم والله بعد ذلك معكم ، وهذه جمل في الإمامة تغني وبالله التوفيق ، ومنه الهداية وهو حسبنا ونعم الوكيل .

باب معرفة الأصل الثامن
في معرفة البر والفجور وما فيه رضا الله تعالى

اعلم رحمك الله أن المخالفين لنا من النواصب والروافض وغيرهم من اليهود والنصارى قد شاركونا في ثلاثة أشياء ، في العمل ، والإعتقاد ، والقول ، وقد زدنا عليهم بالإصابة للحق والإجتهاد ، وهذه الأربع الدعائم الإيمان والإصابة هي المصاب للحق للمراد المطلوب الذي يستحق أن يطلع فيعمل به ، ويقال بفضله ، ويعتقد بالقلب حقه ، وهو معرفة الرب عز وجل وما يجب أن يعرف مما قدمناه في كتابنا فصارت أعمالنا واعتقادنا صواباً لأنها على أصول صحيحة ، وصارت أعمال اليهود والنصارى والنواصب والروافض باطلاً ، لأن المراد الذي يستحق ويقال ويعمل ليس يعرفونه ، وهذه المقدمات التي وصفنا من الإيمان بالله بعد

معرفته ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله والأئمة الخلفاء لرسله ، وأمره ونهيه في رضـــاه وســـخطه ، فتعلم بالعقل والسمع في كتاب الله وسنة نبيئه وإجماع الأمة .

فأمـــا العقل فكل حَسَنٍ فأتِه ، وكل قبيح فدع ، أما الكتاب والسنة وإجماع الأمة فمشهور فيه البر والفجور ، فمن تعلق بالبر كان باراً ولياً من أولياء الله ، ومن تعلق بالفجور كان فاجراً عند الله، تبيَّن ذلك تجده كما وصفت لك ، والعلم بأولياء الله وأعداء الله على ضربين ، فمنه ما يعلمه العامة والخاصة وهو في الجملة ، ومنه ما يعلمه الخاصة وهم العلماء ولا يلزم العامة ما ظهر ، وكل من ظهر بره وفضله كان ولياً ، وكل من ظهـــر فســـقه وشـــره كان عدواً ، ومن استتر أمره وغاب عنك حاله فشـــككت في أمـــره فاحملـــه على ظاهر أمره، فمن كان ظاهره ظاهر الإسلام فهو مسلم، ومن كان ظاهره ظاهر الفسق فهو فاسق ، لا تكلم بشـــيء إلا بعـــلم ، والعـــلم هو ما قدمنا ذكره ، إما ضروري ، وإما استدلالي ، وفي هذا كفاية .

باب الأصل التاسع

فاعلم أن معاصي الأنبياء المذكورة ليست بكبائر، إنما هي صغائر ، والصغائر فهو ما وقع على سبيل النسيان والخطأ كخطيئة آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام ، وليس بعمد ولا قصد لمعصية ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [الأحزاب:٥] فكل ما كان قبيحاً عقلاً وسمعاً ، فمن أتاه عمداً قصداً له مع علمه بقبحه فقد أتى كبيرة ، وهذا لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ، وما كان على سبيل الخطأ والنسيان في أول حال المرء ثم رجع في ثاني حال و لم تستمر به الغفلة عليه وتأمله بأي حال فعله معصية تاب ورجع كان صغيرة ، لأنه ليس لنبي ولا إمام ولا مؤمن أن يحل ولا يحرم إلا بعلم ، فما علمه حقاً قاله ، وما علمه باطلاً اجتنبه ، وما تدل عليه دلالة أحدهما توقف فيه ، و لم يعتقده حتى ينظر فيه ، فأيهما كان وصفه به وألحقه ، فمن غفل في ابتداء أمره فاستعجل في شيء من فعله ثم تأمله في ثاني حال فصح بتأمله زلله فتاب من عجلته وأناب من زلته مثل الأنبياء ، ومن عظم حاله من الأئمة الفضلاء ، ومن الأخيار الذين لا يؤثرون الغفلة ولا يدعون اتباع الطاعة .

فهذا أصل افهمه فإنه مما يجب أن يعرف فإن كثيراً من الجهال

ينسبون إلى الأنبياء عليهم السلام المعاصي الكبار ، وهذا لا يجوز عليهم ولا على الأئمة إلا على سبيل الخطأ والنسيان ، فأما الأنبياء فإنهم لا يجوز عليهم ذلك في دين الله عز وجل الذين أمرهم بتبليغه ، لأنه يحوطهم حتى يبلغوا رسالته ، ويعضدهم بالتأييد واللطف ، وما كان غير ذلك من أمورهم في أنفسهم فإنهم بشر ، ولكنهم لحفظهم لأنفسهم وصبرهم واعتصامهم بدين الله عز وجل ومراعاة لأنفسهم ، وأنهم لا يؤثرون الغفلة ولا يقع منهم ذلك في الدين ، فأما في أمر دنياهم فلربما ، فلذلك عظم ثوابهم لشدة تعبهم وتحملهم المشقة في رضا الله عز وجل .

[العصمة]

فأمّا العصمة التي ذكرتها فهي على ضربين ، عصمة فعل من الله مثل خلق العباد والسماء والأرض ، وكلما صنع عصمة عليه منه ، ليس لشيء منه اختيار في نفسه .

وحقيقة العصمة في اللغة التمسك بالشيء ، ألا ترى أنك تقول : اعتصم فلان بفلان ، أي عَزَّ به وامتنع ، وتقول عصمه منعه ، فالله الممسك للسماء والأرض ، ولعزه وجلاله لم يمتنع عليه وامتنعت على غيره .

والعصمة الثانية هو ما قال الله سبحانه ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [آل عمران:١٠٣] وهو أن تمسكوا بدين الله ، وأن تعترفوا

بـــالله ، وتـــلجأوا إليـــه ، فكل متعبد من ملك ونبي ومؤمن وغيره من الموحدين والملحدين ، فمن هذه الطريق أمروا ، بعد أن أمكنهم سبحانه وبعـــد أن أعطاهم من القوة والآلة ، فمن اختار اختيار الله رشد ، ومن عـــدل عنه عذّب وفي ضلاله ردد ، فأما العصمة الأولى ففعل الله حتماً وجـــبراً ، ولو كان الله قد جبر الأنبياء والملائكة والأئمة على الطاعة لما كان لهم فعل ولكان يقبح مدحهم ، ألا ترى أن كل فعل الله في عباده لا يحمد عليه أحد ولا يذم مثل الأسود والأبيض والموت في الحياة والجدب والخصب ، فالله محمود على الكل والصحة والمرض ، ويحمد العباد على الإحســـان ويذمون على الفساد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَـــلُ وَهُـــمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٣] فلما كان حكيماً كانت أفعاله حكمة ، لم يُسأل عنها لأنها صواب .

وإن عرفنا بعضها وجهلنا بعضها ، فعلينا أن نؤمن بكلها رضاً بفعله وثقة به ، لأنه حكيم عدل ، والحكيم العدل لا يفعل سفها ولا ظلماً .

نُسْأل عن أفعالنا فنثاب على الحسن والصحيح ، ونعاقب على الفساد والقبيح.

فـــافهم هذا الفصل فإن فيه أيضاً دلالة على بطلان قول المجبرة الذين يقولون أن الله سبحانه يقضي بالفساد .

[معاني القضاء]

والقول على وجوه أربعة :

قضـــاء حتم وخلق ، وهو قوله تعالى: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِـــي يَوْمَيْنِ**﴾ [فصلت:١٢] أي فعلهن حتماً، فكل خلق خلقه مثل هذا كان حتماً .

وقضـــاء علم وهو قوله : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾ [الإسراء:٤] معناه علمنا بني إسرائيل أنهم يفسدون في المستقبل .

وقضـــاء أمـــر وهـــو قوله : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣] أي أمر .

وقضاء نهي لأنه نهى ألا يعبدوا سواه وأمر بعبادته ، لأن معنى قضى أمر أن يعبد ، فعرف من ذلك .

[معاني القدر]

والقـــدر على وجهين : تقدير الخلق وتقدير الرزق والآجال وكلما صـــنع ، وهو قوله : ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ [فصلت:١٠] وتقديـــر عقوبة لمن عصاه ، وتقدير ثواب لمن ارتضاه ، فالآخر جزاء ، والأول نعمى وهدى .

[القدرية]

فمن قال أن المعاصي من الله فهو قدري ، لأنه قدرها وأثبتها فعلا له عز وجل . **ومن نفاها** وقال هو عدل لا يقضي ولا يقدر معاصيه فليس بقدري، لأنه ينفي عن الله القبيح ، فهو أصل يجب أن يعلم .

فأما الصالحات فقد تقدم من ذكرها ما فيه كفاية ، وكذلك الفاحشات وهن مع ذكر الحلال والحرام في كتاب الأحكام عندك ، فمن علم ما قلناه ثم عمل به تم له دينه ، وزكى عمله، ونفعه تقربه الذي به يتقرب إلى الله .

ألا ترى إلى ما ذكره الله من ابني آدم حيث قال : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة:٢٧] فلم يقبل منه لما لم يكن متقياً لله ، والإتقاء لله هو الإمتناع عن محارمه، فمن امتنع منه قبل الله أعماله ، وزكى أفعاله .

وفي هذا كفاية وبيان لذي عقل وعرفان ، والحمدالله الموفق للبيان ، والهادي لكل إنسان ،.

((تم الكتاب الجليل للإمام محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين))

فهرس الأحاديث

الحديث	ص
ألا أخبركم بالقوي..	٦٤
إنكم رجعتم من الجهاد الأصغر....................................	٦٥
من كنت مولاه فعلي مولاه...	٦٦
أنا مدينة العلم وعلي بابها..	٦٦
هذان إمامان قاما أو قعدا...	٦٧
إني مخلف فيكم الثقلين...	٦٧
يا علي يهلك فيك رجلان...	٦٩
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله...............................	٧١
نضر الله امرءاً سمع مقالنا...	٧١

فهرس المواضيع

الموضـــوع	ص	الموضـــوع	ص
مقدمة التحقيق	٣	مقدمة المؤلف	٢٩
التوحيد	٤	الوصية بالتقوى	٣٢
العدل	٦	أول ما يجب معرفته	٣٢
الرد على القدرية والمجبرة والمرجئة	٧	المحكم والمتشابه	٣٣
الملائكة والرسل وأهل البيت	٨	أولياء الله وأعدائه	٣٥
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٩	الإيمان والإسلام	٣٦
الوعد	٩	باب الفروض	٣٦
الوعيد	١٠	التوحيد وهو الأصل الأول	٣٦
الشفاعة	١٠	الوحدانية	٣٨
هذا الكتاب	١٠	صفات الذات	٣٨
ترجمة المؤلف	١٢	**باب الأصل الثاني العدل**	**٤٠**
نسبه ونشأته	١٢	**باب الأصل الثالث وهو الوعد والوعيد**	٤٢
تحقيق مولده وبداية تعليمه	١٤	الشفاعة	٤٣
رحلاته وتنقلاته	١٥	الدليل السمعي	٤٤
إمامته	١٦	معنى الحمد والشكر	٤٤
مؤلفاته	١٩	المنافع	٤٥
وفاته ومصادر ترجمته	٢١	العقل	٤٦
المخطوطات المعتمدة في التحقيق	٢٢	**باب الأصل الرابع في معرفة الملائكة**	٤٧
نماذج من المخطوطات	٢٤	العلم الضروي والإستدلالي	٤٨
طريقة التحقيق	٢٧	**خطر التقليد**	٤٩

باب معرفة الأنبياء عليهم السلام وهو الأصل الخامس	٥٣	**باب الأصل التاسع**	٧٢
أقسام الحيوان	٥٤	العصمة	٧٥
باب الأصل السادس في معرفة كتب الله عز وجل	٥٩	معاني القضاء	٧٧
البدا	٦١	معاني القدر	٧٧
سور القرآن	٦٢	القدرية	٧٨
باب الأصل السابع في الإمامة	٦٤	فهرس الأحاديث	٧٩
الروافض والنواصب	٦٩	فهرس المواضيع	٨٠
باب معرفة الأصل الخامس في معرفة البر والفجور وما فيه رضاء الله تعالى	٧٢		